* طالب عمران *

[ãÏíäÉ ÎÇÑÌ ÇáÒãä]

(ÑæÇíÉ ãä ÇáÎíÇá ÇáÚáãí)

من منشورات اتحاد الكتاب العرب
1999

ÇáÍÞæÞ ßÇÝÉ
ãÍÝæÙÉ
áÇÊÍÇÏ ÇáßÊøÇÈ
ÇáÚÑÈ

E-
البريد الالكتروني:
mail : unecriv@net.sy
الانتــرنيت :
Internet : : aru@net.sy

□□

[ãÏíäÉ ÎÇÑÌ ÇáÒãä]

(ÑæÇíÜÜÜÜÜÜÜÜÉ ãä ÇáÎíÇá ÇáÚáãí)

-1-

حاول زملاؤه إقناعه بعدم السفر في هذا الطقس الحــار بسيارته الجديدة ولكنه كـان عنيـداً، كـان يـرغب أن يشـاهده أبنـاء حيّه وهو في سـيارته الجميلة يـروح ويجيء، مع أفـراد أهله المــدقعين فقــراً.. كما كــان قلقــاً على أمه وليس من حجز مؤمن بسرعة على الطائرة.

اجتاز عامر مسافة الطريق البحري قبل أن يبـدأ الطريق الصـحراوي، وتبـدأ معه الهـواجس الـتي اجتاحته بشـدّة، وهو يرى أن عدد السيارات العابرة قد قلّ كثيراً، حـتى أنه انعـدم في بعض المناطق..

وقبيل المغرب بقليل وصل إلى استراحة صـغيرة.. لم ير أيّاً من السيارات أمامها.. أوقف سيارته وهو يشـعر بالنـدم.. اقـترب منها يبحث عن أحد فيها بـدت له كأنها مغلقة وفجـأة سمع صوتاً خلفه:

- نعم.. ماذا تريد؟

رأى رجلاً كهلاً يرتدي لباساً خفيفاً:

- أريد أن أجلس قليلاً وأتناول شيئاً من الطعام.. يا عم..

- لا أحد لديّ هنا.. وأنا رجل لا أرى جيـداً.. لا أسـتطيع أن أخدمك

- زجاجة مياه غازية، وبعض(البسكويت)

- تفضل خذ ما تشاء.. الأسعار تجدها أمامك.

- حسناً.. ألا أحد يعمل لديك هنا؟

- في الصـيف تخـفُّ الحركة كثـيراً.. فأسـتغني عن أحد الخـدم نهائيـاً.. والخـادم الآخر ذهب لإحضـار بعض اللـوازم.. وسيعود بعد المغرب بقليل..

- غريب.. كأن السيارات لا تمر من هنا..

- إنه وقت سيء للسـفر يا بـني.. درجة الحـرارة تقـارب الـ(60) في الظلّ..

- يجب أن أذهب إلى أهلي.. منحوني الإجازة السنوية في هذا الوقت.. تفضل الحساب أمامك يا عم..

-أتريد متابعة طريقك الآن؟ انتبه جيداً، لا تسرع كثيراً، هناك بعض المناطق غير مضاءة من الطريق.

- شكراً لك يا عم..

كان عامر شاباً لم يتجاوز الثامنة والعشرين أنهى دراسته الجامعيّة في كلية الهندسة الكهربائية والميكانيكية، وأنهى خدمة العلم، وأخذ إجازة بلا راتب من عمله ليلتحق بإحدى الشركات العاملة في الخليج.. براتب شهري حسده عليه الكثيرون..

كانت هذه هي المرة الأولى التي يعود فيها إلى بلده بعد غياب قارب السنتين، وقد ألحّت عليه والدته أن يأتي ليراها فهي تعاني المرض والشيخوخة، وقد تنتهي حياتها فجأة..

ورغم أن أخوته طمأنوه على والدته، ولكنَّ إحساساً خفيّاً جعله يقدّم طلب إجازته السنوية إلى مديره المباشر، الذي وافق عليها بسرعة كبيرة وهو يرى لهفة عامر وقلقه على أمه..

بدأ الظلام يلتف وأضواء السيارة تشق الظلمة في منطقة معدومة الإنارة.. شعر عامر بالقلق والخوف، مازال أمامه ساعات حتى يصل الحدود، ربما استغرق الليل بطوله..

بعد نحو ساعة والظلام يشتد شعر بهواء يعصف في الخارج، كانت الرمال تُشكل سحباً بعيدةً.. كأنها زوابع بدت على أضواء
السيارة أشبه بأشباح عملاقة..

عاوده شعور بالخوف الشديد، وتمنى لو لم يقم بهذه الرحلة وحده.. ازدادت الزوابع والسيارة تنطلق على الطريق، وبعد فترة قصيرة بدا وكأن بعض الزوابع الرملية تقترب من الطريق، وربما ستلفُّ السيارة بالرمال لم يدرِ ما يفعل، ولكن رجله استمرت تضغط على(دواسة) البنزين.. والسيارة في سرعتها الكبيرة.. لم يشعر كيف تحركت تلك الزوبعة صوبه وكيف لفّت السيارة وابتلعتها

شعر أنه يدور ويدور والسيارة ترتفع به..ثم أحس بصدمة كبيرة وغاب عن الوعي.. وشعر كأن أشباحاً حوله.. تدور وتهمس بلغة غريبة، وأن الأيدي تنتشله وتشده.. وصحا بعد فترة لم يدر أكانت طويلة أم قصيرة..

-2-

نظر حوله يتأمل المكان كان مكاناً مغلقاً بلا نوافذ وليس سوى ضوء مصباح ضعيف..

أزّ البابَ وسمع صوتاً ناعماً أيقظه من شروده:

- استيقظت من غيبوبتك؟ حمداً لله على السلامة

كانت فتاة جميلة في مقتبل العمر:

- شكراً لكِ، أين أنا؟ وما الذي حدث لي؟

-.. عـثر عليك بعض الرجـال خـارج المدينـة.. ملقى على كثبان الرمل..

- في أية مدينة أنا؟

- إنهـا(مـودس) مدينة صـغيرة.. كـانت فيما مضى كبـيرة متقدمة.. اسمي سميّة، أنا ابنة الشيخ حمدان.

-وأنا عامر.. كنت في طريقي إلى أهلي في الشمال..

- وكيف حـــدث وألقت بك الظـــروف في طريق أولئك الرجال.. الذين عثروا عليك؟

- إنها إحـدى الزوابع الرمليـة.. ابتلعت سـيارتي وألقتـني بعيداً..

- زوبعة رمليـــة؟ على كل حـــال ولو كنتُ لم أفهم ما تقول.. ولكن لا بأس أهلاً بك ضيفاً علينا

سمع صوت سعال ودخل كهل بلحية بيضاء:

- كيف حالك يا بني.؟. الحمد لله تبدو بصـحة جيـدة.. هل أحضرتِ له الطعامَ يا سمية؟

- لم أسأله بعد.. استيقظ قبلَ لحظات..

- شكراً لك يا عماه.. لا أستطيعُ أن أتناول شيئاً.

- منذ أيــام وأنت لم تــذق شــيئاً من طعــام أو شــراب، سيضعف جسمك.. لا بأس أحضري له بعض الحليب الطازج.

- حسناً يا أبي..

خرجت سمية من الباب الوحيد سأله الكهل:

- تبدو شاباً طيباً، كيف حصل وجئت إلى نواحينا؟

- لا أدري ما أقول لك، كان حادثاً مريعاً.

- لابأس عليك.. أنت غريب عن هذه البلاد؟

- نعم يا عماه.. أعمل منذ سنتين في شركة تعمل على ساحل الخليج.

- شركة على الساحل؟ لم أفهم شيئاً.. ولكن لماذا ترتدي هذا اللباس الغريب؟ تبدو أشبه برجل لا ينتمي إلى هذا العالم.

- إنه لباسي، أنا لا أعرف كيف أرتدي مثل لباسكم.. تعودت على هذا اللباس..

أتت سمية تحمل جرة من الفخار:

- الحليب يا عامر.. تفضل.

- شكراً لكِ.. إنه ساخن في هذه الجرّة الفخارية.

قال الشيخ حمدان:

- أتريد شيئاً الآن؟ الأفضل أن نتركك ترتاح.. هيا يا سمية.

- شكراً لكم.

شعر عامر بالاستغراب فالمكان الذي يوجد فيه بدا له كأنه تحت الأرض فلا أثر لنوافذ.. كما أن كل الأشياء الموجودة في الغرفة بدت له قديمة بعضها مهترئ..

شيء واحد أحسَّ أنه محببٌ لديه، هو وجه سمية الصبية الجميلة بلباسها البدوي القديم. غرق في التفكير حائراً.. ترى أين هو الآن؟ وماذا عن مدينة(مودس) التي لم يسمع باسمها من قبل؟

ربما كانت قرية صغيرة غير معروفة.. لذلك لم يسمع باسمها.. ولكن أين سيارته؟ هل ابتلعتها الرمال وماذا حدث للأشياء التي فيها؟ لقد اشترى الكثير من الهدايا، وسحب مبلغاً كبيراً من المال من المصرف وضعه في حقيبته الصغيرة..

كل شيء الآن في السيارة والسيارة لا يعلم عنها شيئاً فقد أكدت له سمية أن الرجال عثروا عليه ملقى فوق أحد

الكثبان الرملية.. يجب أن يعـرف كل شـيء ولابد من العثـور على السيارة..

تقلّب في فراشه يحاول أن ينام، ولم يكن يشـعر بـالحرّ، رغم أن الغرفة غـير مكيّفـة، بـالعكس أحسّ ببعض الـبرودة التي اضطرته أن يضع جلد الخروف فـوق جسـمه.. ولم يـدر كيف غفا سريعاً..

صحا على الباب يطرق ثم فتح ودخلت سمية:

- صباح الخير يا عامر..

- صباح الخير.. يبدو أنني نمت طويلاً

- نعم، وحان الوقت الآن، يجب أن تحرك جسمك حتى لا تصـبح مخبـولاً كسـولاً.. هكـذا يقـول أبي.. هـاهو الحليب، تفضل..

ناولته جرّة الحليب فعبَّ يشرب منها:

- شكراً لك.

- جهز نفسك سـيأتي والـدي ليصـطحبك إلى المدينة لتزورها.

- حسناً.. لن أتأخر كثيراً.

أغلقت الباب نظر إلى ساعته: -إنها السابعة صباحاً..

ولكن لا يـدري من أي يـوم، فليس في سـاعته تـاريخ اليوم..

مشى والشـيخ حمـدان في دروب المدينة الضـيقة شـبه المضاءة.

- مدينتنا صغيرة كما قلت لك، ولكنها كـانت مدينة كبـيرة جداً كانت من أشهر المدن من قبل

- وما الذي حدث حتى صغرت هكذا؟ هل هجرها أهلها؟

- لـذلك قصة كبـيرة، قد أحكيها لك يومـاً.. قلت لي تريد معرفة المكـان الـذي عـثروا فيه عليـكِ وأنت بين المـوت والحياة؟

- نعم يا عمّاه.. أرجوك.

أشار إلى أحد العابرين وهو يقول:

- حسناً.. ها هو أحد الرجال الذين عثروا عليـك.. تعـال يا سالم.. تعال.. إنه ضيفنا الغريب .

اقترب الرجل باحترام يحيّ عامر متفحصاً:

- آه الحمد لله تبدو بصحة جيدة.

- أرجوك يا أخ سالم، دلني على المكان الذي عـثرتم فيه علي.

- لا بـأس، إنّـهُ بعيد قليلاً، ولكن سـأدلَكَ عليـه.. تفضـل.. يمكنك العودة يا شيخُ حمدان.. إنه برعايتي الآن.

- لا.. سـأرافِقكما.. عـامر ضـيفي وسـأبقى معـه.. وأعلم أنك أمين عليه يا سالم، ولكن لا بأس .

- كما تشاء يا شيخُ حمدان.

-3-

اجتـاز عـامر بصـحبة الشـيخ وسـالم طريقـاً متعرجة بين الرمـال بعـدما خـرج من المدينة الـتي بـدت وكأنها في وادٍ عميق تغطيها صـخور كبـيرة متداخلـة.ـ جعلت الضـوء لا ينفذ إليها كثيراً.ـ

كـانت مدينة عجيبة كأنها محفـورة في الصـخر، ضـمن الصحراء مترامية الأطـراف.. مشى عـامر مع صـاحبيه حـتى وصـلوا إلى كثبـان رملية أشـبه بالأهرامـات تنتشر على مساحات واسعة.. أشار سالم لأحد تلك الكثبان.

- إنه المكان الذي عثرتُ فيه عليك يا أخ عامر..

- أيمكن أن أراه جيداً؟

- بالطبع.. كُنتَ مدفوناً بالرمـال هنـا، عَـدا رأسِـكَ وجُـزءٌ من صَدرِكَ.

- أيمكن أن تساعدني في إزالة الرمال من هذه البقعة؟

- لماذا؟ هل تبحث عن شيء هنا؟

-عن سـيارتي لابـدَّ وأنها مدفونة هنـا.. فيها كل ما املك تقريباً..

- سيارتُك؟ وما هي هذه السيارة؟ كيف هو شكلها؟

- ألا تعرف السيارة.. ألم تر واحدة من قبل؟

- للأسف لا.. ولا أعرف حتى شكلها.. لمـاذا تسـتخدِمُها.. ما فائدةُ استخدامِها؟

- إنها وسـيلة نقل نسـتخدمها في الـذهاب والإيـاب بين المدن والمناطق..

- آه فهي لابـدّ وأنها مـاتت وشـبعت موتـاً، فهـذه الرمـال تميت أي حيوانٍ يُطمرُ فيها..

- ليست حيواناً.. إنها كتلة من المعدن.

- تتحرّك؟ تتحرك وحدها؟ كيـف؟ هل تعمل بالسـحر؟ أم أنك تسـخر منا بهـذا المـزاح الـذي يبـدو غـير منطقي.. كأنه سخرية فعلاً.

- معـاذ الله أن أسـخر منكم.. سـاعدني في رفع الرمـال من هنا، وسترى أنني محق، وأن السيارة ليسَت حيواناً.

- لا بأس، ولكن إزاحة الرمـال يلزمها صـبرٌ ودأب.. وربما احتجنا لبعض الرجال.

- أرجو مساعدتك يا سالم بأي شكل.. كما قلت لـك، كل ما أملك هو في تلك السيارة.

- لو ذكـرتَ لي شـيئاً عن تلك السـيارة كُنتُ أحضـرتُ بَعض الشبان لمساعدتنا.

- لم أفهم أنَ المكان يمكن أن يكون مَدفناً لسيارتي.

قال الشيخ حمدان:

- على كل حـال يمكنكما البـدء بالعمـل، يا سـالم.. وسأذهب لإحضار بعض الشبان الآخرين لمساعدتكما.

- لا بأس يا عماه.

كان عامر يبدو قلقاً شارداً سأله سالم:

- تبدو متعباً يا عامر؟

- رغم تعـبي.. يجب أن أعـثر على سـيارتي.. إنها هامة جداً بالنسبة لي..

- إن شاء الله تعثر عليها.. يجب أن نُزيل كل هذه الرمال هيا..

بدأ يعملان ويزيلان الرمال بأصابعهما تمنى عامر لو كانت

لديهما الأدوات المناسبة لارتاحا من استخدام أيديهما ولكن لا بأس، ليس لديهما سوى هذه الأصابع في الوقت الحاضر..

واستمر الشابان في محاولتهما إزالة الرمال من الكـثيب وأتى الشيخ حمدان مع بعض الرجال لمساعدتهما..

واستغرق العمل طـويلاً، ولكن لم يُعثْر على السـيارة في نهاية المطاف..

شعر عامر باليأس ونظر حوله إلى الكثبان الأخرى، يفكّر فيها.. ترى أي من هـذه الكثبـان يبتلع سـيارته.. وكأنما شـعر الشيخ حمدان بأسى عامر، وهو يحـدّق في الكثبـان.. فهَمس إليه ملاطفاً:

- لا تقلق يا بني.. قد نعثر على ذلك الشيء المختفي في كـثيب آخـر.ـ وبالتأكيد أحد تلك الكثبـان الثلاثة القريبـة.. فلا يمكن أن تقـذف بعيـداً عنها كل هـذه المسـافة.. إذا كـانت مدفونة في أحد الكثبان البعيدة .

- معك حق.

- ماذا سنفعل الآن يا شيخ حمدان؟

- هل تسـتطيعون البـدء بإزالة الرمـال من ذلك الكـثيب الصغير؟

- لمــاذا؟ أتعتقد أن الشــيء المختفي هو في أحد هــذه الكثبان؟

- نعم.. وأرجو منكم مساعدتي..

- لا بأس، سنساعدك يا كبيرنـا.ـ هيا يا رجـال لنبـدأ إبعـاد الرمال عن ذلك الكثيب.

قال عامر: - سأسـاعدكم أيضـاً.. هيا اقـتربوا منه ولنُـزِل عنه الرمال بسرعة.

- هل يمكن أن تساعدكم هذه المجرفة؟

- بالطبع.. أعطِها لهم.

كان عامر منفعلاً وهو يبعد الرمال بيديه.

- أرجو أن أعثر على تلك السيارة يا عماه.

- إن شاء الله يا بني..

سمعت أصـوات وقع معـدن على معـدن كـانت المجرفة تصطدم بشيء.. إنه معدن بالتأكيد..

((يا إلهي قد تكون سيارتي انتبهـوا جيـداً وأنتم تحفـرون،

لا تسـتخدموا المجرفة بقـوة قد ينكسر زجـاج السـيارة.. أو تتحطم بعض أجزائها))

قال حمدان: - بلطف يا رجال بلطف..

- حسناً يا شيخُ حمدان..

عثر الرجال على قطعة معدنية ضخمة، عرف فيها عـامر جزءاً من سكة حديدية محطمة.. وشعر بخيبة الأمـل.. ولكنه تسـاءل عن سـبب وجـود تلك القطعة المعدنية الكبـيرة في ذلك الكثيب..

واستمر الرجال يزيلون رمـال الكـثيب دون جـدوى.. فلم يكن هناك شيء وعرف عـامر أن تعب الرجـال قد وصل إلى مرحلة تلزمه بإيقافهم عن متابعة العمل.

- شـكراً لكم يا رجـال.. سنسـتريح اليـوم ونعـاود العمل فيما بعد..

ثم همس عامر في أذن الشيخ حمدان:

((الأفضل أن نتمم العمل غـــداً.. قلت لي أن الاحتمـــال الأكبر أن يكون ذلك الشيء المفقود بين هـذه الكثبـان.. وقد أزلنا اثنين منها ويبقى اثنان آخران فقط..))

قال سالم:

- يمكننا متابعة العمل يا شـــيخ حمـــدان، لمَ نتعب كثـــيراً بعد.

- لا يا بني، يكفينا اليوم.. يمكننا العودة إلى المدينة.

- خذ المجرفة واحتفظ بها يا سالم.

- لا بأس.. سنستخدمها في الجولة التالية.

قال عامر هازّاً رأسه: - شكراً لكم.. أتعبتكم كثيراً.

أجاب حمدان: - لا بأس يا بني أنت ضيفنا..

-4-

تمشى الشـــيخ حمـــدان وعـــامر عائـــدين بعد أن ودعا الرجال:

- لم أر في حيـــاتي مثل مـــدينتكم هـــذه يا عمـــاه، كأنها مدفونة في الصخر.

- لها قصة طويلة كما قلت لـك.. كم كـان ذلك الزلـزال مدّمراً؟ لقد دمّر تسعة أعشار المدينة.

- زلزال؟ وكيف حدث؟ ومتى؟

- منذ سنين بعيدة، ترك لي أحد أجدادي وصفاً دقيقاً عن الكارثة.. إنه مخطـوط قـديم احتفظ به بحـرص في صـندوق متين مُقفل.. لا يعرف سرّه سوى ابنتي سمية..

- أيمكن أن أطلع عليه يا عماه؟

- ليس بعد يا بني.. لم يحن وقت كشف ذلك السر..

وصلا بيت الشيخ حمدان قابلتهما سمية على الباب:

- ألا تشـعران بـالجوع؟ جهـزتُ حَسـاءً سـاخناً بلحم الضأن.

- أحضري الطعام يا ابنتي.. بالطبع نحن جائعان.

- حسناً لحظات وأعود.

تمتم حمدان وهو يتابع سمية:

- سمية فتـاة رائعة وأنا أحبها كثـيراً.. إنها شـديدة الأمانة والصدق.

- وحيدة؟

- لا.. لدي ثلاثة أولاد.. تزوجوا وعاشوا في مناطق أخرى، ولم أسـمع عنهم شـيئاً بعد رحيلهم.. سـمية هي الباقية من أولادي الذين رحلوا عنا.

- زوجتك موجودة؟ أقصد أما تزال حية؟

- إنها مريضة، أثرَ بها إهمال الأولاد لنا.. وقد أمرضها ذلك رغم محاولاتنا التخفيف عنها.

- لم أرها بعد..

- ستراها سريعاً، إنها في إحدى الغرف الخلفية للمنزل.. هناك خادمة خاصة، تساعدها في تدبير شؤونها.

دخلت سمية تحمل طبق الطعام.

- الطعام.. تفضلا.

- سلمت يداك.. يبدو شهياً.

- بالهناء يا عامر.. أنت ضـيف وتحتـاج لتغذية جيـدة.. أبي يأكل القليل.. إنه غير مسرفٍ في تناول الطعام.

- ولكن جسمه مربوع قوي.

قال حمدان:

- الأكل الكثير، ليس مصدراً للقوّة والعضلات المفتولــة.. القليل قد يكفي الإنسان في حياته.. وقوته .

- معك حق يا عماه.

- ابدأا، كاد الحَساء أن يَبرد.

- بسم الله الرحمن الرحيم..

شـعر عـامر بـأن سـميّة سـلبت لبّـه.. وحين خلا لنفسـه، شعر أنه يغرق شيئاً فشيئاً في حب الصبيّة..

وبعد استراحة الغداء بقليل، أتته سـمية بالشـاي، وطلبت منه الاستعداد لزيارة والـدتها.. وبعد مـدة قصـيرة وجد نفسه يسير بصحبتها للقاء العجوز..

- أمي إنسانة خارقة الذكاء، رغم مرضها، انتبه إلى ذلـك، وأنت تحادثها، هي التي طلبت رؤيتك.. ولم نتحدث نحن عنك أمامها أبداً..

- لابد أن خبر وصولي إليكم قد وصلها عن طريق إنسـان مقرب إليها..

- ربما.. وإن كنتُ أشك في ذلك.. فهي تــرى في أحلامها كل ما يحدث حولها وتتنبأ بوقوع الأحداث دائماً .

قابلتهما الخادمة: - سيدتي نائمة.. غفت منذ قليل.

قالت سمية: - ألن نُدخِلَ الضيف إذن؟

- بل تفضلا بالدخول.. اجلسا إلى جانبها.. هكذا رغبت.

- أن نراقبها وهي نائمة؟

- رغبتها أن تدخلا فور وصولكما، مهما كان وضـعها هكـذا أكدت لي.

- لا بأس.. تفضل يا عامر..

كـانت تغفو على فـراش رقيـق، وهي تسـند رأسـها على وسائد عديـدة.. شـعر عـامر كأنه رأى وجهها من قبل بـدا له مألوفاً..

- أمي الآن في أحد عوالمها.. كأنها منفصلة عن عالمنا.

همست الخادمـــــة: - أرجو أن لا تتكلمـــــا، حـــــتى ولو بالوشوشة، إنها تنزعج، وقد تستيقظ غاضبة.

- لا بأس.. لن نتحدث أبداً حتى تستيقظ..

تحركت العجوز بعد قليل:

- الماضي مخيــف.. والمســتقبل.. آه من المســتقبل.. أحضري تلك المرأة التي فقدت زوجها، والمرأة الأخرى التي أصابها الجنون.

- حالاً يا سيدتي.

تأملت عامر: - أنت عامر الذي دخل في لعبة الزمن؟

- أنا عامر يا خالة؟ نعم.. ولكن ما الـذي تقولينه عن لعبة الزمن.. لا أفهم شيئاً".

- أنا أتحدث بالألغاز أحياناً.. كيف حالك يا ابنتي؟

- بخير يا أماه.. ما زال أبي يريد رؤيتك.

- ليس بعد يا ابنـتي.. ليس بعـد.. لا أسـتطيع رؤيته الآن.. اســـمع أيها الشـــاب، لم يحـــدثك حمـــدان بعد عن ســـبب تحول(مـودس) إلى مدينة صـغيرة مدفونة تحت الصـخر. قل له أن يحكي لك حكاية هـــذه المدينـــة، إنه طلب مـــني.. أفهمت؟

- سأقول له أنك تطلبين منه ذلك يا خالة.

- حسناً.. وأنت يا سمية، قلبي عليك يا ابنـتي، سـتتعذبين لبعض الوقت، ولكن هذا قدرك، لا بأس،

لا أســتطيع أن أفسر لك ذلك الآن.. و.. اجلسا صــامتين أنت وعــامر.. ولا تتحــدثا حــتى ولو همســاً ســأرى هــاتين المرأتين.

دخلت الخادمة:

- أحضرتهما لك يا سيدتي.. حتى المـرأة المصـابة بعقلها رافقتني بهدوء، دون مقاومة.

أشارت لها أن تدخلهما، فدخلتا باحترام كبير:

- اجلسا هنا.. استمعي إلي جيداً أنت، فقـدت زوجك منذ أشهر، أليس كذلك؟

كانت المرأة التي تكلمت إليها شابة صغيرة حزينة:

- نعم يا سيدتي.

- إنه في مكان يبعد عدة فراسخ إلى الجنـوب، ينتظر أن يلتئم جرحه ليعود إليك.. أصابه سهم صياد كان يصـطاد حمر الوحش.

- هل أستطيع الذهاب إليه وإحضاره.؟

- يمكنك الطلب إلى الشـيخ حمـدان أن يـزودك بالرجـال لإحضاره.. إنه في خيمة صغيرة تعتـني به امـرأة متقدمة في السن، عثر عليه زوجها وهو ملقىً بين الرمال والدماء تـنزف منه.

- شكراً لك يا سيدتي، هل أذهب الآن؟

- لا بـأس، رافقيها يا سـمية إلى الخـارج، واحـذري أيتها المرأة من أن تفقديه ثانية.. أنت من سبب له هذه المصـيبة، بالحاحك عليه للـذهاب للصـيد وحيـداً، دن رفيـق، لتسـتأثري بالصيد وحدك هيا اذهبي..

- نعم يا سيدتي.

همهمت وهي تخرج:

- إنها تقرأ الأفكار أيضاً.

قالت لها سمية: - هيا، سأرافقك إلى الخارج.

تابعت العجوز: - وأنت أيتها المرأة؟

- مـاذا تريـدين أن تقـولي لي يا سـيدتي الحكيمـة؟ أنا بلهاء.. يسخر مني الجميع، حتى أولادي هربوا مني.

- أنت تمـــرين بمرحلة صـــعبة وقد اكتشـــفت جريمة بالصدفة، جريمة فعلها أقرب الناس إليـك، وهو ابنك الأكـبر.. قتل ضـيفكم ليسـطو على مالـه.. ودفنه بمعونة ابنك التـالي خارج الخيمة التي تسكنونها..

- آه يا سيدتي.. كيف عـرفت؟ ما الـذي أسـتطيع فعلـه.. وامـــرأة ذلك الرجل تبكي وتنـــوح وتفتش عنه وجثته مدفونة

قريباً من مسكني..

- سيأتي بعد أيام تائباً " نادماً"، ويعـترف بجريمتـه، ليأخذ العقاب الذي يستحقه، لن يرحمه الشيخ حمدان.

- أنا أمــوت يا ســيدتي، كنت خائفة على ابــني من هــذه الجريمة، والآن أتمـنى أن ينـال عقابـه، لم يكن سـوى وحش طامع قتل بريئـاً يحمل أمانة ليست له كما قـال لنا أكـثر من مرة..

- اذهبي الآن.. سـتتعذبين لبعض الـوقت ولكنك سـتجدين الراحة بعدها.. رافقها إلى الخارج يا عامر.

- سأفعل يا خالة..

هزت رأسها وهي تبكي بهدوء.

- آه ما أكثر سواد الأيام المقبلة..

قالت الخادمة: - أرجوك يا ســيدتي لا تقسي على نفسك كثيراً.

- أرى الــدمار يحــدث بيننا من جديــد.. إنه منظر مــرعب يتخايل أمامي دائماً.

-5-

عـاد عـامر وسـمية.. إلى العجـوز.. كـانت قد نـامت من جديد، وطلبت منهما الخادمة أن يصمتا ويراقبا العجـوز الـتي غفت قليلاً ثم استيقظت وهي تنظر نحو عامر بحزن..

حكت بعضـاً من أحلامها وخيالاتهـا.. ثم حكت لعـامر عن زمنه الصـعب وأنبأته أن أيامـاً حالكة شـديدة السـواد سـتبدأ في زمنه.. سيموت الكثيرون، من الجوع، والقهر والاختنـاق.. والمرض الصعب المنتشر كالوباء..

((آه يا بني تبـدو مسـتغرباً نظـرتي هـذه.. ولكن لا بـأس سـتجتاز كل الشـدائد الـتي سـتمر بهـا.. ليـال حالكة السـواد ليس فيها سوى الكـوابيس سـتحيطك من كل جـانب.. زمنك سـيكون فيه المـوت وسـيموت الكثـيرون من الجـوع والقهر والاختناق والمرض الصعب المنتشر كالوباء.. لا.. لا ..))

- ما بك يا أمي؟

((ارحل يا بني من هنا أنت وسمية، سأراكما فيما بعد.))

همست الخادمة:

- بسرعة.. سـتأتيها الحالة بسـرعة ولا تريد أن يراها أحد وهي تدخل فيها.

- أية حالة؟ لم أفهم؟

رجتهما الخادمة أن يخرجا.. سألها وهما يخرجان:

- ألا تزورين أمك كثيراً يا سمية؟

- إنها تعتكف باســـتمرار، وأحيانـــاً تخـــرج من عزلتها فتســـتدعيني أو تســـتدعي والـــدي، أو أي شـــخص آخر من المدينة..

- إنها إنســانة عظيمة يا ســمية.. لم أر في حيــاتي مثل نظراتها الـــتي تفيض بالطيبة والحنـــان.. إضـــافة للـــذكاء والشجاعة..

- منذ سنوات وهي في عزلتها الغريبة تلـك.. ليتـني أقيم

معها، هي لا تسمح لي بذلك.. وهي صارمة في قرارها.

اتجهت نحو الطريق المؤدي إلى خارج المدينة:

- إلى أين تذهبين الآن، إنه الليل بظلامه ووحشته.

- بل إنه الليل بسـمائه الصـافية ونجومه اللامعة وقمـره الفضي البديع.

- معك حق..

همهم: ((يا لقلبي المعذب كيف لم أنتبه لكلماتها؟))

- إنها ليلة نديـة، يا عـامر، وهـذا الهـواء الخفيف مع بداية إيغــال الظلام قد يعــني أن العواصف الرملية قد تبــدأ قبيل منتصف الليل وربما استمرت حتى الفجر..

- ألا تخيفك العواصف الرملية يا سمية؟

- أشـعر بها قبل أن تبـدأ أو ألجأ إلى الكهـوف والمغـاور الموزعة حــول الجبل طــوال مــدة عصــفها.. أو أعــود إلى المدينة وهي محمية من العواصف والزوابع مهما كـــــــانت قوتها..

- تخرجين لوحدك كثيراً؟

- أحب الشـرود والعزلة أحيانـاً.. جو الصـحراء يسـحرني بجماله وهدوئه..

- أتعـرفين، أنت أول فتـاة أقابلها في حيـاتي تتمتع بهـذه الشفافية، بسيطة.. واثقة من نفسها.. ذكية أكبر من عمــرك الحقيقي بكثير.

- آه يا عـــامر أشـــعر بـــالخوف دائمـــاً من المســـتقبل، اللقــاءات القليلة الــتي التقيت بها مع والــدتي.. غرست فيَّ هذا الخوف من الآتي..

- حياتكم ليست سهلة يا سـمية.. لم تـدخل التقنية إليكم بعد.. أنتم بعيدون عن الحضارة.. وربما كان هـذا أحد أسـباب بقائكم وأنتم تتمتعون بهذه الميزات الفريدة من النقاء..

تردد صوت عواد ذئب ليس بعيداً عن مكانهما:

- أنت تحسن الظن بمجتمع مدينتنا أكثر مما يجب.

شعر بالخوف وعواء الذئب يقترب:

- كأن ذلك الذئب أصبح قريباً" منا.

- الـذئب الوحيد لا يخيـف.. إنه يبحث عن صـيد سـهل لا يتعبه.. أنت خائف؟ هي أول مرة تعيش فيها مثل هذه الأيــام

في صـــحراء تمتد بلا نهايـــة.. لم تر ما في الصـــحراء من أسرار.. حتى حيواناتها الغريبة لها أسرارها..

زمجر الذئب قريباً منهما كأنه يصارع حيواناً قال عامر:

- كأنه عثر على طريدته.. وهي تحاول الهرب منه..

- هذا ما يحصل فعلاً.. يبدو أنك تتعلم بسرعة يا عامر..

- بـدأ القمر يختفي خلف التلال البعيـدة.. الريـاح تتحـرك من جديد.

- لم يحن أوان الزوابع الرملية بعـــد. أتريد العـــودة إلى المدينة؟

- لا يا سمية، أتمـنى أن نبقى معـاً لـوقت طويـل.. أنت.. أنت..

- قل.. ولا تخجل.. ماذا عني؟

كانت الرياح قد بدأت تصفر:

- لا أدري ما أقول لك.. أنت.

- قل يا عامر.. الرجل عنـدنا لا يخجل من البـوح عما في قلبه.

- إنه شـعور لم أعرفه من قبـل، لا يمكنـني وصـفه.. لا يمكنني التعبير عنه.. شعور من عثر علي شيء فيه كل حياته وسعادته"كنبتة عطشى للماء، هطل عليها المطر".

- يبدو أن الصحراء علمتك نطق الشعر يا عامر.

- بل أنت من علمني الشعر يا سمية.. أنا أحبك..

همست وهي تتنهد:

- أعلم ذلك.. هيا يا عامر بـدأت حركة الزوابـع.. يجب أن لا نقع في دواماتها القوية..

كـانت الريـاح قد بـدأت تحـرك الرمـال في زوابع دوّارة وكان عامر يفكر:

- (آه يا إلهي كم أشـــــعر بالســـــعادة لقد ارتجفت حين وضعت يدي على كتفها، هي تحبني إذن)

-6-

كان شعوراً جميلاً انتاب عامر وهو يـدلف مع سـمية بين الفتحـات الصـخرية في الطريق الهابطة إلى المدينة ظلت سمية صـامتة وهي تشـده بأصـابعها، حـتى وصلا إلى الـبيت، كانت إحدى الخادمات بانتظارهما..

قالت لهما بلهفة:

- إنها بانتظاركما الآن...

- أمي تنتظرنا؟ هيا يا عامر.. هل هي وحدها؟

- سيدي حمدان هناك أيضاً.

- والدي هناك؟ لابد وأن الأمر شديد الأهمية..

فتحت لهما الباب فدلفا إلى الداخل، كان الشـيخ حمـدان يجلس قرب رأس العجوز الممددة في فراشها:

- كيف حالك يا أمي؟

- اجلسي إلى جانبي يا ابنتي.. وأنت يا عامر اجلس هنا.

- خـير يا أمـاه أراك ترغـبين بالحـديث إلينـا، هل هو مهم إلى هذا الحد أن تشغلي نفسك بنا؟

- مـاذا تقـولين يا سـمية.. أنتم همّيَ الوحيـدُ في هـذه اللحظات.. اسمعي يا ابنتي.. واسمعني يا عامر.

- نعم يا خالـة.. أنا أصـغي إليك ومتشـوق لمعرفة ما تريدين.

- قـدرُك أن تَفِـدَ إلينا من زمن غـريب عنّـا.. وقـدرك أن تعشق ابنـتي، وهي بالتأكيد تبادلك الـوُدَّ، رغم خوفها من المسـتقبل.. ولكن اسـتمع إلي جيـداً.. طلبت من حمـدان أن يحكي لك قصة مدينتنا.. إنها قصة هامة جداً لمستقبلكما معاً أنت وسمية..

- لم أفهم يا خالة ما تقصدين؟

- سـتفهمُ كل شـيء حين يحكي لك حمـدان القصة كما كتبها أجـدادنا.. كنت نائمة في نوبـات أحلامي العجيبـة..

رأيتكُما معـاً، كنتما تتحادثـان بهـدوء.. والقمـرُ يختفي خلـفَ التلال.. كان قلبُك يضربُ بعنف، وأنت تشعر بأنفـاس سـميّةٍ قربك.. ومنذ أن رأيتُك للمرّةِ الأولى وأنا أعلم أن شيئاً هامـاً ينتظرك هنا.. لم أعرف عنه أيةَ تفاصيلَ بعد..

قال حمـدان: - هل نتـابع البحث في تلك الكثبـان الرملية عن ذلك الشيء الحديدي الذي يريده عامر؟

- ليس بعدُ يا حمدان.. احكِ له القصة أولاً.

- كما تشائين..

- وأنتِ يا ســمية، يجب أن تظلي هنا إلى جــانبي، بعضُ الناس سيأتون إليّ يرغبـون أن أحِل لهم مشـاكلهم، أرجو أن تساعديني في ذلك، أحتاجُك لبعض الوقت.

- كما ترغبين يا أماه.. سأبقى إلى جانبك.

سأل حمدان: - أتريدين شيئاً آخر يا أم سمية؟

- آه يا حمـدان، أبنـائي الشـبانُ رحلـوا وإختفـوا ولا نعلمُ عنهم شيئاً كم تذكرني بهم عندما تنادينني بـ(أم سمية).

بكت ســمية: - أنا إلى جانبك يا أمي أنت كُل شــيء في حياتي.

- بارك الله فيك يا ابنتي.. يمكنُكَ الانصرافُ الآن يا عامر مع الشيخِ حمدان.. أتمنى لك التوفيق.

همهم عامر.

- في حفظ الله يا خالة..

-7-

خرج عامر وفي ذهنه اختلطت المشـاعر، وهو مسـتغرب تلك الأهمية الــتي أبــدتها العجــوز لحكاية المدينـــة.. وعلاقة مستقبله وسمية بتلك الحكايـة.. أشـار له حمـدان أن يتبعـه.. تغلغلا في أزقّة المدينة الضيقة التي أضـاءتها مصـابيح قديمة الطراز، تشتعل بوقود خاص..

انحرف الشـيخ حمـدان نحو فتحة في جـدار صـخري ولج داخلها وخلفه عــامر.. ثم توقف أمــام صــخرة، ضــغط على بزّال في الجدار فتحركت الصخرة ليظهر خلفها كهفاً كبيراً.. أشـعل حمـدان مشـعلاً معلقـاً من أحد المصـابيح.. وضـغط

على(بزّال) آخر لتعـود الصـخرة وتتغلق عليهمـا.. كـان كهفـاً واسـعاً انتشـرت فيه كتل ضـخمة ملونـة.. وصـناديق مكعبة الشكل.. اقترب الشيخ حمدان من أحدها وجرّه إليه.. وأشـار إلى عامر أن يجلس فوقه ثم جلس على صندوق آخر مكعب الشكل بعد أن وضع طنافس مريحة تحتهما..قال لعامر

- اسمع يا بني، لو لم تعطني أم سمية الإذن لما أطلعتك على هذه الأسرار التي أحتفظ فيها عن دمار مدينة(مودس).

- ولمـاذا يا عمّـاه انتظـرتَ إذنهـا؟ ما العلاقة بينها وبين الحكاية؟

- هـذا السـرّ لا يُعطى إلا لمن يسـتفيد منـه، إنه سـرّ له دلالات كبيرة يجب على من يعرفه أن يسـعى لإفـادة النـاس منه..

- أتعتقدني مؤهلاً لذلك؟

- بالطبع وهذا ما قررته أم سميّة.

- أرجو من الله أن أكون على قدر هذه المسؤولية.

سـحب صـندوقاً خشـبياً طـويلاً مزخرفـاً من بين ركـام الأثاث:

- هـذا الصـندوق يحـوي أوراق جـدي الأكـبر الـذي عاصر مرحلة دمار المدينة، وقد فصّلها تماماً..

فتح الشيخ الصندوق بمفتاح معلق في صدره فرأى عامر أوراقـاً مخطوطة بلغة لم يسـتطع قراءتهـا.. شـعر حمـدان باستغرابه فقال:

- إنها لغتنا القديمة، لغتنا الحالية إشتقت منهـا.. على كل حال أنا سأقرأ لك المخطوط وأرجو أن تنتبه جيداً.

- حسناً يا عماه.. ابدأ أرجوك.

- توكلنا على الله.. بسم الله الرحمن الرحيم

((أنا فاضل بن علي المودسي، أكتب هـذا للنـاس الـذين سيأتون من بعدي وأتمـنى أن لا يقـرأ هـذا المخطـوط سـوى الذين يؤمنون بالإنسان ونزعة الخير فيه.. ويحـاربون الفسـاد والرشوة والأنانية والجشع ويقفون ضد من يعتدي على حرية الإنسان وإبداعه..

فكر عامر: ((لقد رأت العجوز أنني من بين هـؤلاء الـذين يحاربون الفساد والجشع ويقفـون ضد من يعتـدي على حرية الإنسان.. الحمد لله)).

عاد يستمع لصوت الشيخ حمدان.

- كنت طفلاً مــدللاً لكبــير مستشــاري الأمــير كعب أمير(مودس) وكان أبي شيخاً كبـيراً حكيمــاً وقد سـلّم كعب ابنه الأمير سلطان ولاية العهد، وأوكل إليه الاهتمام بالقضــايا الكبـيرة في المدينــة.. وكنت أحد أتباعه ومستشــاريه.. رغم صغر سني وفي أحد الأيـام كنّا نجلس حـول الأمـير سـلطان في إحدى أماكن لهوه، كنت أحدثه عن جارية جميلة أمتلكها:

- وماذا حدثَ لكَ بعدَها يا فاضل؟

- لاحقتها يا مـولاي ولم أتركها تفلت من يـدي، وهي الآن جارية في قصري، دون علم أهلها.

- أريدُ أن أراها.. قد تُعجبني.

- هي جميلة يا مـولاي، وهي هدية مـني إليـك.. سـأذهب لأحضرها.

- لا تتأخر يا فاضل.. سأنتظرك على أحرٍ من الجمر..

- لن أطيل الغيبة يا مولاي.

خرجدت مسرعاً من ذلك المكـان وبينما أنا في طـريقي لقصـرنا، رأيت رجلاً مسـناً يبكي بحرقـة.. اعـترض طـريقي بهدوء قبل أن أدخل القصر..

- أرجوك يا سيدي.. أعد لي ابنتي.

- أية ابنة أيها الخرف.. ماذا تقول؟

- ابنتي(ميدا) التي خطفتها من حيّها وقرب باب بيتها.

- ابتعد أيها المخبـــول، قبل أن آمُر الخـــدم بإلقائك في السجن.

- هي وحيـــدتي وأنيســـتي كيف لي أن أعيشَ دونهـــا؟ أرجوك يا سيدي أستحلفك بالله..

- ابتعد عني،

دفعته فسـقط أرضـاً ثم دخلت من البـاب.. قـال لي أحد الخدم:

- هل أزعجك ذلك المسن يا مولاي؟

- نعم، إنه وقح وملحاح.

- ما رأيك لو أرحناك منه.. طعنة صغيرة في الصدر.

- لا.. لا داعي لذلك، أين الجارية الجديدة؟

- إنها في غرفتهــا.. هل تريــدها؟ سنرسل من يحضــرها لك؟

- حسناً.. بسرعة.

- أمرك يا مولاي.

كـان اسـمها(ميـدا) وهو اسم جميـل.. وكنت واثقـاً أنها ستعجب الأمـيرَ، وسأطلب الكثـير من الأمـير بعد أن يضـمها إلى جواريه.. أحضروها إلي كانت ترتجف من الخوف:

- مـاذا تريد مـني يا سـيدي؟ هل سـتطلقني لأذهب إلى أهلي؟

- لا أهل لكِ.. وليس سوى والدك الهرِم.. وقد مات.

انفجرت تصرخ بحزن: -لا.. لا.. أبي مات؟

- لماذا أنت حزينة عليه؟ إنه على حافة القبر.

- آه.. يا أبي أمعقول أن تموت وأنا بعيدة عنــك، لابد وأن القهر أصابك بعد اختفائي.

- هيا امسحي دموعك.. سنلبي دعوة الأمير سلطان.

- اتركني أرجوك ليتني أموت وألحق بك يا أبي.

- امســحي دموعــك.. وهيــا.. بســرعة تعــالي إلى هنــا.. ستذهبين معي رغماً عن أنفك،

- لا.. لا.. آه.

-8-

وحكى حمدان كيف اندفع فاضل يخرج(ميدا) من القصر، ويتجه نحو عربته التي جهزها له خدمه.. ويبدو أن والدها المسنّ قد رآها تدخل العربة وفاضل يجرها وهي تبكي فاندفع نحوها فيما تحركت العربة.

ورغم ضعف الشيخ، فلقد هزَّه منظر ابنته الباكية فهرع بكل طاقته وربما بطاقة الفجيعة التي تملكته خلف العربة حتى تعلّق بأحد نتوءاتها وظلّت تمشي بسرعة كبيرة، ولم يستطع أن يتمالك نفسه فسقط وقد تعلقت يداه بالنتوء، وجسمه ينجرُّ بقسوة على الطريق.. وأكمل يحكي على لسان جده:

"قلت لميدا وأنا أرى دموعها تنهمر:

- كدنا نصل، إن لم تتمالكي نفسك سأقتلك، أفهمت؟

- اقتلني أرجوك.. لا أريد أن أحيا بعد أبي.

- هه.. وصلنا.. أوقف العربة هيا أيها الحوذي.

- حاضر يا مولاي.

ثم طلبت من الحوذي أيضاً أن يساعدني في السيطرة على الصبية المتمردة.. كان الناس قد تجمعوا حول العربة يراقبون جسد الشيخ المشوّه وأنا أصرخ دون أن أنتبه في وجه ميدا:

- لن ينفعكِ بكاؤك.. إن لم تدخلي القصر مبتسمة سأذيقك الويل.

نبهني الحوذي: - انظر يا مولاي، يبدو أنه تعلّق بالعربة وجرّته لمسافة طويلة.

صرخت الفتاة مفجوعة تتأمل الجثة المشوهة: - أبي.. أبي.

- إنه والدك إذن.. أبعدوها عنه.

ولكنها بدت كأنها التصقت به.. أصبحت مضرجة بدمائه..

قال الحوذي مصعوقاً:

- مولاي .

- ماذا أيها المخبول؟

- إنها لا تتحرك.. لقد ماتت.

- ماذا؟ فعلاً.. لقد ماتت كيف حدث ذلك؟

أثّر بي هذا الحادث كثيراً.. وبدأت أفكر بالأسباب التي جعلت تلك الصبيّة الفاتنة تتأثر إلى الحدّ الذي جعلها تموت وهي ترى والدها في منظر مخيف شوهته الحجارة التي جرته العربة فوقها طوال الطريق.. بدأ شيء ما في صدري ينزف، ويدفعني للتفكير فيما حولي.. وفي تلك الليلة أرسل الأمير رسوله إلي، يطالبني بالجارية.. فاعتذرت له بأنها ماتت.. ولكنني لم أستطع الابتعاد عن مواجهته في اليوم التالي.. في وسط جو صاخب ضاحك.. الجميع فيه يعاقر الخمرة.

- لماذا أنتَ مهموم يا فاضل؟ حزين على الجارية؟

قال أحد الموجودين ضاحكاً:

- بل هو حزين على المكافأة التي تسربت منه..

- إن كنت حزيناً على المكافأة، سأجزيكَ مكافأةً كبيرة، وإن كنت حزيناً على الجارية سأهديكَ أجمل منها بكثير.

- إنه شارد يا مولاي.. ربما يتذكر لياليه معها.

- كانت جميلة القدّ دافئة إذن؟ هه؟

قلت حزيناً: -أنا آسف يا مولاي أشعر بتوعك منذ البارحة،

- حزين عليها؟

- إنه الطعام يا مولاي.. أكلت منه أكثر مما ينبغي... (كنت أبدو كالمريض فعلاً) قال الأمير:

- لا بأس.. سأعرضُك على طبيبِ القصر.

أمر أحدهم: -اصطحبهُ إلى طبيبنا المعروف، اذهب معه يا فاضل.. وأرجو أن تتحسّن صحتك على يديه .

- شكراً لك يا مولاي.

- لا تُطل غيابَك عنّا يا فاضل، لماذا عمَّ الصمتُ مجلسكم أيها الأصحاب هه؟ لتحضرِ الراقصات والشراب.. ولتتمتّعوا..

فكرتُ مصعوقاً: ((ما أكثر الضحايا الذين ينتهون في هـذا المكان دون شفقة؟)).

-9-

وقرأ حمدان باللغة المودسيّة الشبيهة بالعربيّة، كيف بـدأ جـده الأكـبر فاضل ينتبه لما يحـدث في المدينة وكيف كـان الأمـير كعب وحاشـيته يُسـيطر على مقـدرات المدينـة، وقد جمع الأمير سلطان بنُ كعب حوله شباناً صغاراً يلهثـون وراء المتع، ويتغنون بحكمته وشجاعته ويسبلون عليه الألقاب التي هي بعيدة عنه كل البعد..

كان في سبيل المتعة والتسلية يدفع بالأبرياء إلى حلبـات الوحوش المفترسة، وكـان النـاس يعـانون من الظلم والقهر والجوع..

انتبه فاضل بن علي المودسي لما يحـــدث في المدينـــة، وكان والده قد اعتزل الناس، بعـدما غضب عليه الأمـير كعب لأنه نبهّه إلى العنف الذي يسوم به ورجاله الناس.

اتجه فاضل نحو المكان الذي كان يـنزوي فيه الكهـل، لم يكن قد رآه منذ فترة طويلة وقد أقصـاه الأمـير ومنع النـاس عنــه.كـان يعيش في عزله تامة وهو في سـنّ متقــدم دون رعاية .. ولم يـــدر فاضل كيف يـــدخل إليه وقد سُـــدَّ البـــاب بالحجارة الضخمة.. دار حول المكان يفتش عن ثغرة..

ولم يجد شيئاً، بدا له المكـان معتمـاً أشـبه بقـبر.. وبينما هو يجول حائراً انتبه على صبيّ يشـدّه من يـده.. كـان صـبياً هـزيلاً بـدت عليه ملامح الجـوع الشـديد.. تبع الصـبي، فوجد مكاناً مغطىً بالحشـائش أشـار له أنه يزيل هـذه الحشـائش فخلفها فتحة تفضي إلى الكهل الحـبيس.. مد يـده إلى جيبه يسـتخرج صـرته العـامرة بالـدراهم، أعطـاه بعضـها، ثم أخذ يزيل الحشائش بهدوء لتنفتح له الثغـرة.. وقبع الصـبي قـرب المكان وهو يشير لفاضل أنه سيعيد الحشائش من جديد إلى مكانها حتى لا يلحظ أحد دخوله..

ابتسم له بـــود وولج من(الثغـــرة) إلى داخل المكـــان المظلم.. أخذ ينادي والده:

- أبي.. أين أنت؟

كان المكان مظلماً وليس من بصيص للضوء..

سمع صوته:

- كنتُ أتوقـعُ مجيئك يا فاضـل.. بـدأت تعي ما يحـدث يا بني، ارفع الغِطاء أمامك في اتجاه الصوت، إنه سـاخن قليلاً سيعود الضوء للمكان.. إنه غطاءُ مصباحٍ كبير..

رفعه فانبعث الضوء يغمر المكان: - يا إلهي.. أبي.. مـاذا حدث لك؟ تبدو هزيلاً مريضاً.

- أنا بخير يا بـني.. المهمُ أن تنتبه لما يحـدث للنـاس، أن يعودَ إليك وعيك وتميّز الظلم.. الكارثة قادمة ولا رادَّ لها.. آه يا بني، اقترب مني قليلاً

- ها أنذا يا أبي.. بين يديك..

فكّر قلقاً: ((إنه لا يرى.. أبي أعمى آه يا إلهي)).

- أنا أعرف ما يجولُ بفكـرك، أنا فقـدتُ بصـري بالفعـل، لأنه لا حاجـةَ لي للبصـرِ وأنا حـبيس هنـا، لا أرى شـيئاً. تفتح داخلي على طاقـات كبـيرةٍ جعلتـني أبصر الغيبَ وأتنبـأ بـه.. أعطاني الله سبحانه وتعالى القوة لذلك.

- وما الذي تراه يا أبي؟ قل لي أرجوك.

- سيزداد فساد الطغاة، ويزدادُ الأذى والظلم وأريدُ منـكَ أن تحكي عمّا يحدث للناس، أن تكتبَ ذلك، أن تصـفه بدقـة، فهو إرثنا للأجيال القادمـة.. يجب أن يعرفـوا الكثـير عن هـذا الماضي العكِر.. اسمع يا بني، انزو في مكانٍ بعيدٍ ولكن بعـدَ أن تدور بين الناسِ وتعرفَ عنهم الكثير..

اكتب عن متاعبهم وتعاسـتِهم وظلمهم، وصف ما يعـانون وما يفعلُ بهم أولئك الطغاة الذين استعبدوهم..

- أعدك يا أبي.. سأفعل كل هذا.

- سيضـايقونك، ولكن كن صـلباً، ولا تخـف، لقد تعـرفتُ على الحقيقة بنفسي، وجابهتُ في سـبيلها الكثـير وسـأموتُ في سبيل الزود عنها، وعن الحق..

رأى فاضل والـده وهو يتضـاءل وينكمش ويصـغر حجمه بالتدريج، أذهلته المفاجأة

صرخ: -ما الذي يحدث؟ أبي يتضاءل وينكمش؟

- لا تنسَ يا بني.. لا تنسَ ما قلتُه لك

- أبي.. أبي.. مـاذا هنـاك؟ ما الـذي يحـدث لـك.. أسـمع

أصواتاً غريبة.

- وداعاً يا بني.. حانت لحظةُ رحيلي عن عالمكم.

- أبي.. أبي.. إنه يتضاءل يختفي.. كيف حدث ذلك.. يا إلهي.

وروى فاضل لحظات ذهوله بعد اختفاء والده، ثم كيف توجه نحو باب الخروج فوجد الجند بانتظاره ووجد جثة الصبي الصغير مضرجة بالدم إلى القرب من الثغرة التي كانت مغطاة بالأعشاب..

كان مراقباً دون أن يدري.. ولاحقوه، حتى دخل الثغرة وبينما كان الصبي يسوّيها بالأعشاب.. طعنوه من الخلف.. وأبعدوه عنها..

وحين خرج فاضل وجد نفسه بينهم، عاثوا في المكان بحثاً عن الكهل فلم يعثروا عليه.. فسيق فاضل إلى الأمير سلطان..

- خُنتني أخيراً يا فاضل؟ أين أخفيتَ ذلكَ المتمرد؟

- لم أخنك يا مولاي.. ووالدي مات.. أصيب بمرض حوله إلى تراب.. ومع الأسف الشديد يا مولاي..فلقد أصابني بالعدوى سأموت بمرضه.. وأتحول إلى تراب.

- ماذا تقولُ أيا المخبول؟

- الحقيقة.. يا مولاي، ألم يبحث رجالك عنه، هل وجدوا شيئاً غير التراب؟ لا.. لقد مرض أبي ومات وتحوّل إلى تراب، إنه مرض يحيل الإنسان إلى كومة من التراب بعد أن يتمكن منه.. وقد أصابتني العدوى..

- العدوى؟ كيف تحدّثُ هذه العدوى؟

- من يلمسني يا مولاي من يقترب مني يصيبه المرض الذي ينهش ببطء أعضاء الجسم، ويحولها إلى تراب. آه.. من هذا المرض.. آه يا أبي، أعطيتني شيئاً لا أستطيع الخلاص منه..

صرخ: - أبعدوا هذا عني.. وألقوه في الأحياء الفقيرة يمرض سكانها ويحولهم إلى تراب. هيا..

-10-

وقــرأ حمــدان ما كتبه فاضل عمّا جــرى له بعد ذلــك.. وكيف إنتشر بين الفقــراء يبصّــرهم بــواقعهم.. دون جــدوى كـانوا أشــبه بـالموتى.. كـان عـامر يسـتمع بشـغف للشـيخ حمدان..

((هنا يصــفُ جــدّي الأكــبر ما حــلّ بالنــاس وقد انقلبت مفاهيمهم للحياة وانتشرَ الزيـفُ والفسـاد والنفـاقُ والجشـع، وبــدلاً من أن يحمي الفقــراء أنفســهم مطــالبينَ بالعدالــة، إستسلموا لمن يحكمُهم بعُبوديّة طاغية، وهذا ما حــولهم إلى إشباه بشر بلا حس ولاعاطفـة.وهو يقـدم هنا أمثلـةً ((غريبـةً أمرٌ غريبٌ فعلاً))

- ماذا يا عماه؟ اقرأ لي من فضلك ولا تترك شــيئاً.. أريد أن أعرف القصة بكاملها..

- حسناً.. يقول جدي الأكبر..

((كـان الأمـير سـلطان قد اسـتولى على جميع ممتلكاتنا بعدما زرت والـدي تلك الزيـارة المحزنـة.. كنت أعيش حيـاة التشرد والفقر، وقد ابتعد عني الجميع.. نظراً لما نشره عني الأمير من أخبار حول مرضي المعـدي الـذي يحـول الإنسـان المصــاب به إلى تــراب خلال فــترة محــدودة.. كنت تحت شجرة(خـرّوب) كبـيرة أسـند رأسي إلى جـذعها وقد تنـاهت إلى ســمعي أصــوات تغريد الطيــور.. حين ســمعت صــوتاً خلفي:

- مــاذا تفعل هنا أيها التعس؟ لمــاذا لا تشــاهد حفلـــةَ الإعدام هه؟

كان رجلاً هزيلاً محني الظهر ينظر لي بحذر:

- حفلة الإعدام؟ ما الذي تقصده؟

- اكتشف الأمير سلطان أن بعض الفقراء سـرقوا الخـبز من مطابخـه، وقد جهّز لهم حفلة إعـدام كبـيرة.. وطلب من الجميع حضورها..

- وما صفتك أنت حتى تدعوني لحضور هذه الحفلـة؟ هل أنت من أتباعه؟

- لا.. أيها التعس.. لست من أتباعــه.. أنا رجل بســيط لا أتبع أحداً، ولا أملك في هذه الحيـاة شـيئاً سـمعت يومـاً ذلك الشـيخ الجليـل(علي المودسـي) يحكي عن الظلم ويطـالب النـاس بـالتحرك فـأثرت بي كلماتـه، ولكـني لم أجد مجـالاً للحركة، فلجأت إلى هذه الجبال ألعنُ عجزي وقصوري.

- وكيف سمعت إذن بتلك الحفلة؟

- كنت في أول يــوم تجــوال لي بعد عزلــتي، أتنقل في المدينة أرى ما آلت إليه أحوال الناس..

- وانتهت حفلة الإعدام؟

- لم تبدأ بعد.. رأيت بعض الجنود كـانوا يسـوقون النـاس إلى الساحة الكبيرة في المدينة، سمعتهم ينادون ويصــرخون مطـــالبين الجميع بالحضـــور إلى هنـــاك، ومن لم يحضر فسيكتشفون عدم حضوره ويعاقبونه.

-ولماذا ناديتني بهـذا الاسـم(التعس)؟ ولا أراك متحمسـاً لحضور الحفلة؟

- تبــدو متشــرداً مثلي.. قلت لنفســي((منظــرك يــوحي بالرثاء والشفقة)) قد يعاقبك الجنـد، لـذلك نبهتك إلى الحفلة وضرورة حضورها.

- ألا ترغب بحضورها أنت؟

- سآوي إلى الجبـال هربـاً من ذلـك.. قد أمـوت ويتوقف قلبي حين أرى حفلة الإعدام تلك.. أنا ضـعيف البنيــة، شـديد الحساسية.

- لذلك أنت دون فاعلية، لا تؤثر على أحد.. ؟ اذهب معي إلى حفلة الإعـدام ولا تخــف.. قد تثـير همم النـاس بمقاومة الظلم.

- أنت.. الذي تبدو أشبه بشبح من الهزال والضعف؟

- لا تخــف، مــازال جســمي قويــاً، وقلــبي ينبض بــروح المقاومة..

صــرخ الرجل فجــأة: - هاقد اقــترب الجند من مكاننــا.. سأسرع في الاختفاء.

قلت بغضب: - أيها الجبان الرعديد.

قال بخوف وهو يبتعد: - قل ما شئت، الهرب هو سـلاحي

الوحيد.

والتف الجنود حولي: - لماذا أنت هنا أيها المتشرد؟

- خير؟ ماذا تريدون؟

- النــاس يتجمعــون في الســاحة الكبــيرة، هنــاك حفلة عظيمة يقيمها سـمو مولانا الأمـير سـلطان.. هيا تحـرك إلى هناك قبل أن ألهب ظهرك بهذا السوط؟

- ولكني لا أستطيع السير.. جسمي ضعيف..

- سنوقظ فيك روح القدرة على السير..

انهـالوا علي بالسـياط فصـرخت: - حسـناً سـأحاول أن أسير.

وفجأة علا صوت بعيد يصرخ بهم: - اتركوه ماذا تفعلون؟

- ماذا يا سيدي؟

- إنه الموبوء.. سيصيبكم بأمراضه.

- الذي طرده مولانا الأمير من بلاطه؟

- نعم.. اتركــوه.. إن رغب بــالتفرج على حفلة الإعــدام فسيندس بين صفوف الناس المعدمين ويصيبهم بالعدوى

- هيا نتابع تفتيشنا بسرعة..

قالوا ساخرين وهم ينظرون إلي ويبتعدون بقرف:

- انظروا إليه إنه بالكاد يقف..

- فتشــوا تلك الغابة القريبــة، وأحضــروا من تــرون من الناس إنها حفلة كبـيرة، ورغبة مولانا الأمـير أن يـرى الجميع هنــاك كيف يتم إعــدام من تســوّل له نفسه العبث بــأموال مولانا.

هممت وأنا أنهض: -لن تفوتني مثل هذه الحفلة..

-11-

اتجهت صوب مكان الحفلـة، وأنا أرى النـاس يتراكضـون من كل مكان حتى لا يتعرضـوا للعقـاب.. كنت أشـعر بحـزن كبير لما آلت إليه الأحوال، أهكذا يستعبدهم الأمير كعب دون أن يقاوموا؟ اندسست بينهم أطل على الميدان الكبير، حيث رأيت في الجـــانب الآخر الأمـــير كعب وإلى يمينه الأمـــير سلطان اللـذين كانا باللبـاس التقليـدي الرسـمي، كـان كعب يجلس على كرسي من الرخــام مثبت فــوق مصـطبة تطل على السـاحة، وسـلطان يجلس على كرسي آخر أصـغر منه وأخفض منه مستوىً.. ودوّى النفير يعلن عن بـدء الاحتفـال.. وشاركت في حوارات الناس:

- لم يظهر البؤساء بعد؟

قـــال أحـــدهم: - من تقصد بالبؤســـاء؟ أتعـــني أولئك المجرمين الذين سطوا على مطابخ الأمير؟

- نعم.. وهم ليسوا مجـرمين، لا يمكن أن تطـالب الجـائع بإسكات معدته بالصمت والصبر.. أفهمت؟

- انتبه الجنود حولنا في كل مكان.

قلت: - أنا ابن علي المودسي لا أخشى أحـــداً.. لم يركع والدي لهم.. ظلّ شامخاً رافضاً الظلم حتى مات.

- أنت الموبوء المريض بمرض والدك؟ هـه.. ابتعد عنّا قد تنقل إلينا العدوى.

-إنها كذبة ساذجة انطلقت على أميرك الشاب وحاشيته.

- كذبت على الأمير؟ كيف تجرؤ؟

- يكفي، لمــاذا أنت مــرتعب لهــذه الدرجــة؟ ما الــذي يستطيع الأمير أن يفعله لكم لو كنتم متحدين متعاونين؟ هه؟

اقترب منّا رجل كان يسمع الحوار: -معك حق بالتأكيد

قـال الأول: - بــدأ الاحتفــال.. ابتعد عــني ولا تلمســني، سأتفرج على إعدام أولئك اللصوص .

- كما تشـاء.. وإن كنت متأكـداً أنك سـتبلغ عـني جنـود الأمير.. شخصيتك الهشّة تدل على ذلك .

أخـذت أتكلم بصـوت مرتفـع: - أمعقـول أن يمثل بجـائع يسرق رغيفاً بهذه الطريقة؟ إنه الظلم كيف للأمـير أن يفعل كل شـيء دون اهتمـام منكم؟ أتخافونه إلى هـذا الحـد؟ معقول؟

وانبعث صـوت أحد الجلادين: - هـؤلاء الثلاثة الأوغـاد سيُعدمون بقطع الرؤوس..

هكذا يرغبُ مولانا الأميرُ سلطان..

صـرخ الأمـير سـلطان: - هيّا نفـذوا فيهم الحكم.. فـوق المنصّة.. اقطعوا رقابهم..

- حسناً يا مولاي.

وهمهم الأمـير وهو يـرى تنفيذ الحكم:- تـدحرجت رؤوس الأوغـاد الـذين جـرؤوا على الاقـتراب من مطـابخ مـولاهم.. أحضروا المرأتين..

- حسناً يا مولاي الأمير..

وصرخ المنادي: - أتسمعون أيها الناس؟ هاتـان المرأتـان تسـللتا إلى أحد مطـابخ القصـر، وحاولتا سـرقة الطعـام.. انظروا إليهما..

قفـزت مرعوبـاً: - مسـتحيل، إنهما أمي وأخـتي.. كيف حضرتا إلى هنـا.. لقد أرسـلهما والـدي إلى قرية بعيـدة، إلى بيت أخيه الأكبر لتعيشا خوفاً من ظلم الأمـير.. أمعقـول؟ لا أصدق ما يجري.

كان الأمير يحاول إخضاع أمي: -ألن تعترفي أيتها المـرأة بجريمتك؟

- لم أرتكب جريمة، حين جئت أسأل عن ولـدي فاضـل.. لم أكن أعرف أنك غضبت عليه، كما غضبت على والده..

- أمرٌ مثير للسخرية، تسألين عن المريض الموبوء الـذي تتحوّل أعضاؤه إلى تراب؟ . إنه مثـير للقـرف ينشر العـدوى في كل مكان.. كوالده..

- أنت لا تقـول الصدق، ابـني سـليم الجسـم.. كما كـان والده.. أنا أعرفهما جيداً".. ألم يكن فاضل صديقك المقرب، ما الذي حولك عنه أخيراً"؟

- عـثر عليه الجند في مكـان عزلة والـده، رفض أوامـري

بعـــدم الاقـــتراب من ذلك الجحر الـــذي يعيش فيه زوجك المخبول..

- لم يكن زوجي مخبولاً، كان يمقت الظلم والظالمين..

- ابنتك صبية حلوة، سأضـمها إلى الجـواري.. أتسـمح لي بذلك يا أبي؟

قـال كعب: - إنها هـديتك يا سـلطان، فكـوا قيد الصـبية وأحضروها إلى هنا.

كنت كالملـدوغ: - يا إله السـماوات كيف سـأجتاز هـذه الحواجز.. لأصل إليهما؟

صرخت أختي: -اتركوني أيها الأنذال.

قـال الأمـير: -لا تضـايقوها.. سـتأتي مرغمة إلي.. هيا يا جميلة.

همهمت أمي: - عفراء.. لا تستسلمي له يا ابنتي.

- لا تخافي علي يا أماه.

صرخ سلطان وهو يهتز: -تعـالي.. تعـالي.. أرأيت يا أبي، يبدو أنها الشخص السليم بين عائلة المودسي.

همهم كعب: - ستكون متعتك المقبلة يا بني.

لم أسـتطع الصـبر على هـذا الموقف أكـثر من ذلك فدفعت من حولي مخترقاً الصفوف.

-ابتعدوا من هنا..

سألني من إلى جانبي: - ما الذي يجري يا أخ؟

- أمي وأختي أمام الطاغية.. يجب أن أصل إلى هناك.

قـال: - لا تكـثر من الضـجيج حـتى لا ينتبه إليك الجنـد.. سأوصلك إلى هناك.. تعال.

كان كعب يسأل سلطان: -وبمـاذا حكمت على المـرأة يا سلطان؟

- هذه العجوز الشمطاء الطويلة اللسـان.. ستوضع فـوق المحرقة.

- حكم ممتاز.. والفتاة تصبح جارية لك.

صرخت أمي: - لن تصبح ابنتي جارية لك أيها الوغد..

وفجأة استلت سيفاً من سيوف الحرس:

- دافع عن نفسك أيها الوغد.. أتحدّاك..

- تجيـدين اسـتعمال السـيف؟ هـه؟ حاصـروها بسـرعة.. وأطلقوا حرابكم في اتجاهها.. هيا..

كـانت أمي تجيد فعلاً اسـتعمال السـيف وكـانت محاربة ماهرة.

صرخ سلطان: - وجهوا صوبها السهام من كل جانب..

وانضـمت أخـتي إليها وقد تمكنت بغفلة من الحـراس أن تستل سيف الحارس الواقف إلى جانبها: - أنا معك يا أماه.

كان سلطان يصرخ: -حاصروهما واقتلوهما.. هيا..

وكنت قد وصلت إليهما: - تشجعي يا أماه.. أنا قادم.

غمغم سلطان بخوف: - الموبوء.

قلت: - سأقترب منك وأنقل إليك العدوى.

قال الرجل الغريب الذي يساعدني: - تقدم لا تخــف.. أنا أحمي لك ظهرك؟

بدا الوضع مستحيلاً، ولكن ذلك الرجل إلى جـانبي، تمكن من إنقاذي وأمي وأختي، بإطلاق شـيء قذفه بعـدما أشـعله، فـأخرج ذلك الشــيء ضـباباً من الـدخان، أعمى أعين الجند وأحــدث ارتباكــاً كبــيراً ولم نشــعر إلا ونحن مع الرجل في مكان ما تحت الأرض تضيئه المشاعل..

قلت له ممتناً لصنيعه:

- ما فعلته أشبه بمعجزة.. كيف أطلقت كل هذا الدخان؟

- طريقة تعلمتها من والــدك، أنا أحد تلاميــذه، صــداقتك لسلطان أبعدتك عن معرفة والدك .

-ولمَ لم يهتم والدي بإبعادي عن سلطان؟

- لأنه رغب أن تكتشف الحقيقة بنفسـك، علمـني والـدك الكثــير وحين عــرفت بنبأ اختفائه بعد عــودتي من رحلــتي الطويلــة.. جن جنــوني، شـعرت كمن يفقد أحد أهم محــاور حياتــه.. بحثت عنك طــويلاً فلم أرك.. قيل لي أنك مــريض، وتعـتزل النـاس، بعـدما أصـابك اليـأس من محاولة إقنـاعهم بمقاومة الظلم..

كــان المكــان أشــبه بكهف ضــخم يتفــرع إلى أنفــاق وممّرات، تضـيئها المشـاعل، وفي بعض زوايـاه أثـاث للنـوم وصــناديق فيها كتب ومخطوطــات.. كــان من الواضح أن

الغريب يقيم فيه.. تجولنا قليلاً لنتعرف على ممراته وأنفاقه، كان هائل الاتســاع. وقد أكد الرجل لنــا: - أنه مكــان لا يعرفه أحد، ستبقون فيه المدة التي تريدون.

- من الأفضل أن تــذهبي يا أمــاه وعفــراء إلى بيت عمي الأكبر في القرية البعيدة..(مودس) هذه الأيــام تفقد توازنهــا، بفقدان أبنائها لعقولهم.

قــال الرجــل: -وأنا مع فاضل يا خالــة.. من الأفضل لكما أن ترحلا.

- وأنت يا فاضل. ما الذي ستفعله هنا؟

- سأنفذ وصية والدي يا أماه.. سأبقى هنا أقاوم الظلم.

قـــالت أخـــتي: -لم لا نبقى هنا معـــك، لنقـــاوم الظلم جميعاً"؟

- أرجوك يا أختاه.. لا مكان لكما هنا.. أعدك أنــني ســآتي إليكم حالما تأتي اللحظة المناسبة للقائنا من جديد..

-12-

وقرأ الشيخ حمدان صـفحات جديـدة من مخطـوط جـده الأكـــبر فاضــــل، حكى فاضل كيف أفسد كعب وســـلطان الجميـع، وسـيطر عليهم بعبودية مطلقـة، وجمع العديد منهم لينحتوا في الصخر بيوتاً..

وبـدأت العملية بتـواتر منتظم، وأشـرف الأمـير سـلطان عليها، كان يعتبره المشروع الأهم في حياتـه، بـنى بيوتـاً من الصخر لجواريه، ونحت أمكنة للهو، وأمكنة لتكديس المال..

ونحت أقبية للمســـجونين، ودفن العديد منهم وهم على قيد الحياة.. وتحولت مـودس إلى مدينة مستسـلمة لقـدرها، وقد ساد فيها الفساد والكذب ووأد النفوس الخيّرة..

***

توقف الشيخ: حمدان عن القراءة قليلاً وهو يرمق عـامر باهتمام.

- إنها قصةً محزنة، وما بقي منها أشدُ إيلاماً.

- اسـتمر يا عمـاه، أريد أن أعـرف ما جـرى بعد ذلـك، وكيف حدثت الكارثة..؟

أكمل متنهداً بحزن:

- ظـلَّ كعبُ رُغمَ تقدمه بالسـن، يتصـيّدُ المتعـة، ويتلّهى بتعذيبِ عبيدِهِ، ويقوّي من أزرِ ولده.. وازداد الظلم إلى حدٍ لا يمكنُ وصفه

- ولم ينفجر الناس بعد؟

- يؤكد جـدي الأكـبرُ أنه تمكنَ بصـعوبةٍ كبـيرة وبمعونـةِ بعض تلاميذ والده من الوصول إلى إيجاد تجمعٍ للناس الـذين انضموا إليه كي يقاوموا ما يفعله أتباع الأمير ووليُّ عهده.

- وكيف كان جدك الأكبر يا عماه، مستشاراً لكعب؟ هــذا الطاغية الذي لا يرحمَ أحداً؟ أمر غريب فعلاً..

- كان كعبُ وليّاً للعهد، حين التحقَ والدُ جدي بالعمل في

حاشيته، نتيجةً لنصيحة الأمير(قابس) والد كعب.. وقد رأى في والدي رجلاً حكيماً، قد يؤدب ولده ويرشده.. ولكن كعب الذي تزوج من ابنة أحد الوزراء قد تحول بالتدريج بعد وفاة والده وقد رأى السلطة جميعها في يده، والناسُ تدينُ له.. تحوّل إلى رجلٍ يجري وراء المُتعة، وحاولَ والدُ جدّي الأكبر إيقافه عن جُموحِه نحو المتعة بهدوء وصبر ولكنه لم يستطع، وأدى هذا التدخل المستمر من المستشار الحكيم، إلى أن يغضب عليه الأمير كعب، وجرى ما جرى.

- حكاية غريبة.. وماذا حدث لمدينة(مودس)؟

- بعد أن كثرَ الفسادُ والظلم؟ حسناً سأقرأ لك ما كتبهُ جدي الأكبرَ في نهاية مخطوطته:

((رأينا أحلاماً مخيفة لعدة أيام متتالية، كانت كلها تدور حول حرائق تصيب المدينة، وزلازل أرضية، وأجسام تتساقط من السماء وكأن تلك الأحلام نبهتنا إلى أن قدر المدينة أن تسير نحو الهاوية...

وهكذا اجتمعنا في مكان ما تحت الأرض، وقد ضاق المكان بنا، كان الذين انضموا إلينا قد أحضروا نساءهم وأطفالهم وأشياءهم الضرورية.. وهذا ما جعلنا نفتح السراديب على بعضها ليتوزع الناس.. ولم أنسَ تلك الأيام ولن أنساها.. في أحد الأيام كانت هناك امرأة تصرخ باسمي:

- يا سيدي فاضل.. يا سيدي فاضل.

- ما بك يا امرأة ماذا تريدين؟

- رأيته بعيني، رأيته بعيني، إنه يطير فوق المدينة.. طائر ضخم مخيف.. إنه شديد السواد، ويطلق أصواتاً مخيفة.

- ومتى رأيته؟

- قبل قليل.. خرجت أفتش عن ابني الذي يعمل حارساً عند الأمير سلطان..

- وكيف سمحوا لك بالخروج؟ ألم تعرفي أن الخروج من هنا ممنوع الآن.

- هذا ما جرى يا سيدي.. بحثت عن ولدي ولقيته.. طلب مني أن أبتعد حتى لا يراني أحد.. فيعاقبه الأمير سلطان.. ودعته وأنا أبكي وابتعدت، خائفة حزينة، جلست في مكان منزوٍ، وإذا بالظلام يحلّ فجأة، نظرت إلى السماء لأرى ذلك الطيرَ الأسود الضخم..

فكرت متسائلاً: ((معقول؟ تبدو صادقة وهي تروي

الحادثة.. لا بأس يجب أن أستكشف الأمر)).

ثم قلت لها: - حسناً.. عودي إلى مكان إقامتك..

- وماذا ستفعل؟ أتعرف شيئاً عن ذلك الطير؟

- حتى الآن لا أعـرف مـاذا سـنفعل، وبـالطبع فقصة هـذا الطير تبدو فريدة يا خالة..

- لم أر في حياتي طيراً بضـخامته.. كأنه سـحابة سـوداء متكاثفة، لا تسمح بنفاذ الضوء.

- حسناً، عودي إلى مكانك بسرعة.

واقـــترب رجل آخر من رجـــالي: - ثمة شـــيء جديد يا فاضل.

- ماذا تقصد؟ ما الشيء الجديد هذا؟ أله علاقة بالمدينة؟

- نعم.. طيور سوداء كبيرة الحجم تجول حول المدينة.

- قالت لي تلك المرأة أن هناك طير واحد فقط.

- بل العديد من الطيور.. حـراس المـدخل حكـوا لي عن ذلك.

- يجب أن نكتشف الأمر..

- ولكن بمنتهى السـريّة لا نريد أن نحـدث بلبلـة.ـ لـدى الناس

- معك حق.

((وخرجنا من فتحة سرية نستكشف الأمر، فرأينا طيـوراً سوداء كبيرة تحوم فوق المدينة، كانت تحمل أجساماً سوداء في مناقيرها ومخالبها.. وهي تطير محوّمة.. وكان جند الأمير يطلقون نحوها السهام فلا تصل إلى الارتفاع الذي تطير به.. وقد استشاط الأمير سـلطان غضـباً وطلب من جميع جنـوده طرد تلك الطيور الضخمة.. ولم تسفر محاولتهم عن شـيء.. فقد ازداد عدد الطيور)).

حـتى بالمشـاعل والنـار.. لم تكـترث الطيـور.. كـان من الواضح عجز الجند والحـراس وهم يخرجـون بالعشـرات من مناطق تواجدهم حول بيوت الأمير المنحوتة بالصخر..

ورأينا فجأة عجوزاً بوجه سمح تقترب منا:

- ماذا تفعلان هنا؟ عودا إلى المكان الذي تقيمان فيه.

سألتها باهتمام:

- لماذا تطلبين منا ذلك يا خالة؟

- لأن ما سيحدث سيكون رهيباً مرعباً.

- ومن أنت يا خالة، لماذا لا تختبئين ما دام الذي سيحدث سيكون رهيباً مرعباً؟

- لا تكثر من الكلام يا بــني.. واذهب مع رفيقك إلى حيث المكان المناسب لاختبائكما.

وصرخت تحاكي الطيور:

- هيا أيتها الطيـور تحـركي، زلـزلي الأرض، دمـري هـذه الصوامع المليئة بالفسق والظلم والفساد.. هيا أيتها الطيور..

كــانت تــركض مطلقة كلماتها وصــراخها.. وهي توجه بصرها إلى الجو وبـدت سـريعة رغم تقـدمها في السن يا لها من عجـوز غامضـة.. عـدنا إلى ملجئنـا، كـانت الطيـور تبـدو وكأنها تستعد لقذف ما تحمله فوق المدينة يا إله السـماوات، كم ستكون الكارثة كبيرة الحجم؟

((وعـدنا إلى مكمننا مع بقية النـاس الـذين لجـأوا إلينـا، وبـدأت تصـلنا أصـوات مدوية هـزّت الأرض من حولنـا، فلقد أطلقت الطيور السـوداء الضـخمة الـتي غطت أسـرابها وجه الشـمس، أطلقت كل ما لــديها من أجســام ثقيلة صــوب القصور والـبيوت المنحوتـة.. ودكّت تلك الأجسـام كل الـدور المزخرفة الـتي امتلأت بـالظلم والفسـاد، وزلــزلت الأرض حولنا، واشتد عويل النسـاء والأطفـال.. كـان يومـاً مرعبـاً لا يمكن لنا أن ننساه.. ودمّرت الكارثة مدينة(مـودس) الكبـيرة تدميراً أتى على كل شيء، ودفن بين الأنقاض الأمير الظـالم وحاشـــيته وأتباعه وخدمه وجواريه ومخـــازن أموالـــه.. كما دمرت كل الذين استسلموا له ليستعبدهم ويمتص منهم نامة الإحساس الإنساني المقاوم)).

وتابع حمدان يقرأ:

- ويستمرُ جديَ الأكبرُ في سـرد تفاصـيل الكارثـة، وكيف صعدوا بعدما هدأ الزلزال وتوقف تساقط الأجسـام الثقيلـة.. ليجدوا أن كل شـيء اختفى، أزيـلَ عن الأرض تمامـاً، ولا أثر للقصـور والمنـازل الضـخمة والكهـوف المنحوتة الـتي تزخر بالتماثيل الجميلة، وأدوات المُتعة على اختلاف أشكالها.

- إنها حكاية أشبه بأسطورة.

- وظل صوت كعبٍ وولده سـلطان يـدويان في المنطقة يستغيثان من العذاب، وقد سمع جـدي تلك الأصـوات الغريبة التي تردد صداها بعد انتهاء الكارثة لعدة أيـام.. كـانت تـذرفُ

دمـوعَ النـدم والتوبـة، وتتوسـلُ أن يتوقـفَ عـذابُها لكن دون جـدوى.. وهكـذا عـاد جـدي الأكـبر يحـاول بنـاءَ ما بقي من مخلفات الدمار.. مستعيناً بأولئك الناس الذين رفضـوا الظلم وقـاوموه لتنهض(مـودس) جديـدة صـغيرة، أحب فيها الجميع الخيرَ، وتعاونوا من أجله

- هذه هي حكاية المدينة إذن؟

تنهد الشيخ حمدان وهو ينظر إلى عامر بعمق:

- وقد طلبت مـني زوجـتي أن أحكيها لـك، وهو طلبٌ له مبرراته بالتأكيـد.. ولكن ما هي هـذه المـبررات؟ بالتأكيد لا أعلم.. هيا بنا نعود إلى البيت.. سنعيد كل شـيء إلى ما كـان عليه هنا..

-13-

أعـاد الشـيخ حمـدان تـرتيب المكـان وأقفل الصـندوق المتطاول بعدما وضع فيه المخطوط الغريب كما أعاد ترتيب الصناديق مكعبة الشكل، وحرّك الصخرة الكبـيرة الـتي تسـدّ مدخل الكهف، وخـرج وعـامر إلى العـراء، ثم أعـاد الصـخرة إلى مكانها لتمحو أي أثر يمكن أن يعرف على الكهف..

سار عامر صامتاً إلى جانب الشيخ وهو يستعيد الأحـداث ويفسرها.. حتى وصلا إلى بيت الشـيخ حمـدان المـنزوي في جانب المدينة المخفيّة تحت الأرض.

قالت لهما سمية بلهفة: - الحمد لله أنكما عـدتما أخـيراً، لقد عادت أمي إلى سباتها الطويل، أنها لا تتحرك.

هدّأها حمدان:

- لا تقلقي عليهـــا، لم يحن أجلُها بعـــد.. ربما تغيبُ في سباتها لأيام..

- كانت تبدو حزينة دامعة.. يا لقلبي الذي يعتصره الحزن عليها؟

- ســأذهب لرؤيتهــا، انتبهي لنفســك، هـدئ من روعها يا عامر..

- سأفعل يا عماه.

خرج الشيخ حمدان، همس عامر بحب: - سـمية أرجـوك لا تزيدي من عذابي مازالت صور الكارثة تتخايل أمامي.

- سأحاول أن أتماسك يا عـامر.. ولكن والـدتي حكت لي أشياء كثيرة مرعبة قبل غيبوبتها.

- ســأبعد عنك الخــوف والــرعب يا حبيبــتي، لن أجعل الحزن يعرف طريقه إلينا.

- ولكن القدر أقوى من كل الأماني يا عامر..

- ماذا تقولين يا سمية؟ لماذا هذا التشاؤم؟

- ألم أقل لك، حكت لي والدتي أشياء كثيرةً مُرعبة قبـلَ أن تغرَقَ في السُبات.

- مثل ماذا؟ قولي يا سمية.. أرجوك.

- لا أستطيع.. لم تُعطني إذناً.. بذلك.

- لا بأس.. كما تريدين.. ما رأيك لو نذهب لزيارتها معاً؟

- أمي في سُباتها الطويل لن تستيقظ سريعاً، وأخاف أن لا تستيقظ أبداً.. لو تعلم كم هي مُهمةٌ بالنسبة لنا.. إنها مفتاحُنا على العالم، لولاها لكانت عزلتنا شديدة القساوة.. أنتَ الوحيدُ الذي اخترق عزلتنا يا عامر..

- أليست هناك قرى ومدن قريبة من(مودس)؟ ألا يسافر الناس خارج مودس ويستكشفون الأماكن البعيدة؟

- لا يا عامر.. منذ أن تفتحت عيناي على النور، لم أر أحداً يسافر ويعود من جديد، حتى إخوتي ذهبوا ولم يعودوا، لذلك قرر المجلس الاستشاري منع السفر والرحيل، والاكتفاء بالحياة هنا وقراءة أسفار الأجداد والتعلم منها.

- الآن فهمت كيف أخرج حضوري المفاجئ سكان المدينة عن رتابة حياتهم.. ولكني لن أقيم هنا إلى الأبد.. سأعود للبحث عن سيارتي الغارقة في لرمال وأكمل سفري إلى بلدي في الشمال..

همست بخوف:

- كيف؟ وتتركني؟

ضمّها إليه بحب:

- لا.. سأصطحبك معي كزوجة وحبيبة.. لا أستطيع الابتعاد عنها للحظة واحدة.. أنت كل شيء في عالمي الآن.

زفرت بحزن وهي تهز رأسها:

- ليس الأمر سهلاً كما تظن.. أمي ستقرر خياري.. حينما تستيقظ من سباتها هذا إذا استيقظت.

- لماذا لا نذهب إليها الآن يا سمية؟ أرجوك.. قلبي يحدثني أن أمراً ما يحدث هناك.

استسلمت لطلبه: - لا بأس يا عامر.. تفضل سنذهب إلى أمي.. وأرجو أن يكون حدسك في محلّه..

وحين وصلا غرفة الأم قالت لهما الخادمة:

- سيدتي نائمة بعمق لم تستيقظ بعد.. والشيخ حمدان إلى جانبها.

- هل منعتنا من زيارتها؟ أقصد أنا وعامر؟

- لم تقل شيئاً من هذا القبيل.

همهمت سـمية: - ادخل يا عـامر.. الحمد لله لم تَمنع عنا زيارتها في سُباتها.

كـان تنفسـها مضـطرباً.. تتنفس بسـرعة قليلاً ثم تخمد وتسـكن تمامـاً كأنها ميتـة.. خـاف عـامر وسـمية أن تكـون العجوز قد دخلت مرحلة الخطر.. هز الشيخ حمدان رأسه:

- من يعلم؟ ما الذي يخبئه الله لها ولنا؟

ولكن تنفسُها عاد من جديـد.. بـدأت الخادمة في محاولة لإيقاظها:

- سيدتي هل تسمعينني؟

شجعها الشيخ حمدان: - حاولي معها.. قد تستيقظ..

همس الشيخ حمدان موضحاً لعامر:

- لابد أن لغة مشـتركة بينهمـا. إنها تقيم معها منذ بـدء مرضها هي تعرف الكثير مما لا نعرفه عنها.

واستمرّت الخادمة تحاول إيقاظ العجوز:

- أتسمعينني يا سيدتي.. الجميع هنا حولك الشيخ حمدان وسمية وذلك الغريب.. إنهم حولك.

فتحت العجوز عينيها بهـدوء ونظـرت حولها ثم تمتمت: - آه.. اسندي رأسي..

أخذت تحدق شاردة في البعيد:

((آه يا إلهي.. كنت أطير فـوق البلـدان، رأيت الكثـير من الحـوادث المرعبـة.. آه.. لا أسـتطيع أن أفتح عيـني مـازلت أحلق فـوق(مـودس) المنغلقة على نفسـها.. آه.. سـمية يا ابنتي))

- أنا إلى جانبك يا أماه.

- ستغادريننا سريعاً وتعانين الكثير.. ولكن عامر سـيكون قوياً يحميكِ ويبعد عنكِ الأذى.. آه لا أستطيع أن أفتح عيـني.. أنت سـتدخلين أمكنة لم تريها من قبـل، سـيكون كل شـيء مدهشاً غريبـاً.. أرى طريقـاً أسـود ينقلك فوقه جهـاز عجيب يدور يتحكم به عامر.. آه هناك متاعب في الطريق.. الأشرار في كل مكان.. ولكن لا خـوف عليكما من قـوى الشـر.. آه.. لست أدري ما الذي يضغط على صدري؟

سألتها الخادمة: - هل أرفع رأسك قليلاً يا سيدتي؟

لا.. لا داعي لذلك.. اسمع يا حمدان.

- نعم يا أم سمية.. ماذا تريدين؟

- ستظل مدينتنا الصغيرة منسية لسنوات طويلة أخرى، وسيظل سكانها معزولين عن العالم.. آه يا حمدان.. العالم حولنا يزداد حركة وغرابة.. آه.. أنا أدور فوق مدن ليس فيها سوى الأبنية العالية والطرق السوداء التي تسرح فيها آلات كالحشرات السريعة تبدو لي وأنا أطير فوقها.

- ألا تريدين أن تقولي شيئاً يا أم سمية؟

- معك حق.. يجب أن أقول شيئاً للناس فأنا سأعود إلى سباتي الطويل، كان يجب أن لا أستيقظ الآن ولكنني عدت من سباتي من أجل عامر وسمية.. إنهما متحابان.. بارك حبهما يا حمدان.

وانتبه للناس، شعرت بقلبيكما الصغيرين يا بني ينبضان بحب صادق.. رغم كل ما هو موجود حولك من إغراءات فأنت صادق الطوية يا عامر..

- أنت امرأة نادرة يا خالة.

- آه.. حمدان.. اذهب إلى الركن الشرقي من(مودس) هناك شجار بين رجلين حول قطعة معدنية رأياها بين تلال الرمل، إنها ليست قطعة فقط.. ربما آلة كبيرة أشبه بالآلات التي تسير بين المدن ذات الأبنية العالية والطرق السوداء.. آه.. هيا يا حمدان.. اذهب إليهما سريعاً ولا تنسى أن تزور الشيوخ وتقدم لهم المساعدة.. الناس هنا مازالوا راضين بعيشتهم الرتيبة.. وجود عامر بينهم يدهشهم ويزيد من استغرابهم، وفضولهم لمعرفة ما يجري خارج مدينتهم في العالم البعيد"

سعلت سعالاً شديداً، سألتها الخادمة:

- ما بك يا سيدتي، هل أحضر لك الماء؟

- لا بأس.. يبدو أن سباتي سيكون طويلاً بعد قليل.

أحضرت لها كأساً من الماء شربت منه بهدوء:

- اخرجوا الآن.. رافق حمدان يا عامر.. وأنت يا سمية انتظري عودتهما.. لا أريد أن يزعجني أحد حتى تخبركم خادمتي.. هيا.

- ليكن الله معك يا أم سمية..

انفجرت سمية بالبكاء أوقفتها العجوز بإشارة من يدها:

- لا تبكي يا ابنــتي.. يجب أن تظلي قوية متماســكة.. مع السلامة.. هيا أنقذ الرجلين يا حمدان قبل أن يفتكا ببعضهما.

- حـالاً.. هيا يا عـامر.. وأنت يا سـمية ابقي في غرفتـك.. لن نتأخر طويلاً..

همهمت العجوز لخادمتها وهم يخرجون:

- أعيديني إلى وضعي.. آه.. يجب أن أعــود إلى عــوالمي الغريبة.

- نعم يا سيدتي..

-14-

توجه الشـيخ حمـدان وعـامر صـوب الـركن الشـرقي من(مودس) لم يكن المكان بعيداً اجتـازا الأزقة الضـيقة بين الـبيوت الحجريـة، ولم يكن الضـوء المتسـرب من الفتحـات العلوية للمدينة كبيراً ولكنه كان كافياً لرؤية الطريق..

كان هناك تجمع لبعض الناس من سكان المدينة، وصـلت الأصوات إلى الشيخ حمدان وعامر، فهرعا مسـرعين صـوب المكـان.. كـان هنـاك رجلان يتعاركـان عراكـاً شـديداً، كما وصفتهما أم سمية:

- لقد اكتشـفتها أولاً، ولن أدعك تقاسـمني، سأضـعها في ساحة المدينة ليتفرج عليها الناس، ستدر علي ربحاً وفيراً.

- لولا مساعدتي، لم تستطع اسـتخراجها من تلة الرمـال تلك.. لي الحق بجزء منها.

- أترون يا ناس.. يريد ثمن مساعدته؟

- إنه حقي..

دخل الشيخ حمدان ومعه عامر بين الجمع:

- ما الـذي يجـري؟ أمعقـول أن أرى الشـجار يتطـور إلى هذا الحد؟ لماذا تحملان السلاح؟ أتريدان استخدامه؟

- لقد حاول الاعتـداد على حقي يا شـيخ حمـدان ، تصـور عـثرت على قطعة معدنية ضـخمة جميلة في إحـدى تلال الرمال، استغرق مني ذلك جهداً كبيراً، لا أنكر أنني اسـتعنت به، ولكنه يرغب بمقاسمتي .

قـال الرجل الآخـر: بـذلتُ جهـداً كبـيراً أيضـاً.. وهـذا من حقي.

وتدخل أحد الشـيوخ: -حاولنا إقناعهما بالهـدوء، ولكن كلاً منهما أصرّ على موقفه .

سـأل حمـدان: - أين هـذا الشـيء الـذي تتشـاجران من أجله؟

- إنه في الأعلى سأستخدم الخشب الطويل لجره لساحة القرية.

- يجب أن أراه.

- يجب أن تحكم بالحق، إنه ملكي يا شيخ حمدان أرجوك.

- ولكن لولاي لم تكن تستطيع إخراجه، ساعدتك وبذلت جهداً يوازي جهدك أيضاً.

- توقفا عن الكلام.. أريد رؤية هذا الشيء هيا.

سار الجميع نحو المكان الذي دل عليه الرجل كان قد غطى ذلك الشيء بقماش بمساحة كبيرة وحالما رفع الغطاء صرخ عامر مذهولاً بفرح: - سيارتي.. عثرت عليها أخيراً.

أوقفه الرجل: - ماذا تقول أيها الغريب؟ ابتعد عن هذا الشيء إنه ملكي..

- سيارتي بوضع جيد أيضاً.. لا أصدق نفسي..

عاد الرجل يهدده:

- لا تقترب منه.. أحذرك.

أوقفه حمدان:

- هذا الشيء هو ملك له، هذا الغريب حضر به إلينا.

أدار عامر محرك السيارة فبدأت بالحركة صاح فرحاً: - إنها تعمل.

ابتعد بها وسط دهشة الجميع: - إنه يسير وحده.. يا إلهي.

أيقظهم حمدان من دهشتهم:

((استمعوا إلي جيداً.. ذلك الشاب قذفته إلينا زوبعة رملية طمرته الرمال، وطمرت هذا الشيء بعيداً عنه.. كنّا نحاول البحث عنه قبل أيام.. ولم نكمل بحثنا.. هذا الغريب أتى من البعيد بهذا الشيء، إنه من عالم مختلف عنا..وسيرحل به إلى بلاده البعيدة.. لا نستطيع أن نقف في وجهه)).

صرخ الرجل: - يا حسرتي على الجهد والتعب الذي بذلته من أجله.

وأكمل الآخر: - وأنا أيضاً بذلت الكثير من الجهد.

- سنرى ما يمكننا أن نكافئكما به على صنيعكما من أجل

هذا الضيف الغريب.

قال شيخ: - أليس من العار أن تطالبا بمكافأة؟ إنه عمل خير، وعمل الخير لا يجب أن يكون له ثمن.

قال حمـدان: - معك حـق.. ولكن إن رغبا بمكافـأة، لن نتأخر في تقديمها لكل منهما.

انبرى الرجل رافضاً الفكرة:

- لا يا شيخ حمدان ما دام الوضع هكذا لا أريد شيئاً.

وقال آخر:

- وأنا أيضاً يا شيخ حمدان لا أريد شيئاً..

تنهد حمدان بارتياح:

- الحمد للــه.. الآن ثبت لي أن أبنــاء(مــودس) مــازالوا يحتفظون بنزعة الخير لديهم.. هيا تصافيا وتصالحا.

- بارك الله فيك يا شيخنا..

كانت السـيارة بوضع جيـد، شـكرهما عـامر بارتبـاك: - لا أدري ما أقول لكما.. وبماذا أكافئكما؟

- لا تقل شيئاً.. نحن سعيدان بعثورك على هذا الشيء.

- نعم.. لا نريد شيئاً منك.. نتمنى لك التوفيق.

كان العثور على السيارة أمراً مفاجئاً لعامر، الذي عاوده هـوس الرحيل وقد تـذكر أقـوال أم سـمية عنه وعن سـمية ورحيلهما معاً..

ولم يلحظ الحزن الذي سيطر على الشـيخ حمـدان، وقد شـــعر بنيته للرحيل بابنته بعيــداً.. كـــانت ســـمية المخلوقة الوحيـدة الـتي شـعر نحوها بحب يفـوق الوصف كـانت ابنته وصديقته ومستودع أسراره، والوحيد البــاقي من أبنائه ولكن رغبة الأم كانت بمثابة أمر لا يمكن مخالفته.

ركن عـامر سـيارته في مكـان يطل على مـدخل المدينة الشـرقي، ثم هبط وبقية الرجـال إلى المدينـة.. وتفـرق عنه الجميع ولم يبق سوى الشيخ حمدان الصامت الدامع..

وكأنما شعر عـامر بحـزن الشـيخ حمـدان.. هـذا الحـزن الذي بدا سـببه واضحاً وهو اصـطحاب عـامر لسـمية معـه.. وفي بيت الشيخ حمدان دار حوار افتتحه عامر بالقول:

- ســتكون ســمية أمانة في عنقي يا عمــاه، لن أســمح لشيء أن يزعجها مهما كان

تنهد حمدان وهو يربت على كتفه:

- لا بأس يا بني.. تلك هي رغبة أم سمية، ستتزوجان غداً وإن رغبتما بالرحيل سريعاً سنسهل لكما ذلك ما استطعنا..

- وأنا جاهز يا عماه لتنفيذ رغبتك.

زفر الشيخ بحزن:

- سـترحلان بالتأكيـد، سـريعاً أعلم ذلـك، أنت من عـالم مختلف، ويجب أن تلتحق بهذا العالم..

أكدت سـمية: -إنه قـدري يا عـامر، حكت لي أمي كثـيراً عنه.

هز حمدان رأسه بحزن:

- هيا نســتعد ليــوم الغــد، ســيكون احتفــالاً كبــيراً لم تشهده(مودس) منذ زمن بعيد.

وقضى عامر ليلته الأخيرة في(مودس) وهو يفكر بالأيـام المقبلـــة.. حيث ســـيكمل رحلته مع ســـمية إلى بلاده في الشمال شرق البحر المتوسط..

كان سعيداً برحلته مع الفتاة التي تعشّقها قلبه.. متجاهلاً الكآبة الـتي ظهـرت على محيّا الشـيخ حمـدان رغم تظـاهره بالسرور والفرح.

انفرد بسـمية لـدقائق قبل أن يتـدفق الضـيوف إلى بيت الشيخ حمدان تعبيراً عن مواسـاتهم له برحيل ابنته الوحيـدة الباقية..

وأتت خادمة أم سمية تسأل عن عـامر.. وحين التقى بها قالت له هامسة:

- استيقظت سيدتي للحظات وطلبت مـني أن أنقل إليك الاتجاه الذي يجب أن تسلكه في الرحيل بآلتك مع سمية..

- هل حددت لكِ هذا الاتجاه؟

- قـــالت لي فقط ليتجه عـــامر بآلته بحيث يكـــون نجم القطب إلى يمينه فسيصل الطريق الـذي ينشـده لا تنسى يا سيدي.

- لن أنسى أبداً.. بارك الله فيك.

سأله حمدان: - قالت لك عن الوجهة التي يجب أن تسير بها؟

- نعم.

- لم تنس شيئاً أبداً.. كن مطمئناً يا بـني، سـتظل قلوبنا معك ما دمت إلى جانب سمية، إنها أغلى شيء في حياتنا.

- إنها أعز من عيني.. لا تقلق يا عماه".

دارى الشيخ رأسه منسحباً وقد سالت الـدموع من عينيه رغماً عنه..

-15-

وفي اليـوم التـالي، اسـتيقظ عـامر على دقـات الطبـول وعزف نـاي حـزين، كـانت المدينة الصـغيرة قد تجمعت كلها في الساحة الوحيدة بين الصخور..

كـانوا رجـالاً ونسـاءً وأطفـالاً يرتـدون لباسـهم التقليـدي ويتجمعون في حلقات شهدت بعض مظاهر الفرح الذي يـراه عامر لأول مرة في مجتمع(مودس) الصغير.

أتى بضـعة شـبان إليه وألبسـوه زيهم التقليـدي وأهـدوه سيفاً مزخرف الغمد ثم اصطحبوه إلى السرادق حيث اجتمع وجهاء المدينة.

رأى نفسه فجـأة أمـامهم، فشـعر بارتبـاك ولكن الشـيخ حمدان غطى على ارتباكه بتعريفه بضيوفه:

- هــذا الــزواج الـذي باركتــه(أم ســمية) وطلبت مــني التعجيل بــه، يجــري لأول مــرة منذ ســنين طويلة بين فتــاة من(مــودس) وغــريب حــطّ علينا فجـأة من رحم الغيب، فلم نجد فيه سوى الشهامة والرجولة والنبل .

- بـــارك الله بك يا عمـــاه، وأرجو أن أكـــون عند حسن ظنكم بي.

- أكان العثور على آلته الغريبة هو الذي عجّل برحيله؟

- تعلمــون أن كثبــان الرمل الصــغيرة تخفي الكثــير من الأشــياء المعدنية الــتي لا نعــرف عنها شــيئاً.. إنها تــأتي مع الزوابع وتنــدفن في الرمــل، نحن مختفــون في قلب الأرض،

والعالم حولنا كبير ومجهول.

- هل يعني أننا قد نخرج من عزلتنا يا شيخ حمدان؟

- لا أدري، وإن كنت أعتقد أن خروجنا من عزلتنا لم يـأتِ أوانه بعد.

- قد تكـون سـمية، هي أول سـكان(مـودس) تخـرج من هذه العزلة الطويلة المستمرة.

- مكتوب بالألواح أن من يخرج من (مودس) لا يعود إليها أبـداً.. لقد فقـدت أولادي الشـبان، والعديد منكم فقد أولاده الـذين رحلـوا في الظلام خـارج (مـودس)، ولم يعد أي منهم حتى الآن.

- يعني أن سمية لن تعود إلينا أبداً؟

- الله وحده يعلم.. قد يحدث ذلك، ولكن على الأغلب لن تعود..

قال عامر مخففاً: - قد نحـاول زيـارتكم في المسـتقبل.. إنه وعد سأحاول تنفيذه.

- من الصعوبة أن تعثر على مـدينتنا يا بـني.. إنها مختفية تحت الأرض لا يظهر منها سـوى الصـخور.. وركـام الصـخور الضخمة منذ أن حدث الزلزال الكبير ودمر المدينة الواسعة.

وأتت سمية خجلة تهمس في أذن الشيخ حمدان:

- أبي، تطلبُكَ خادمة أمي.. لابد وأن تبلغك بأمرٍ هام.

- حسناً.. عن إذنكم يا جماعة سأعود حالاً.

قالت الخادمة حين قابلها حمدان:

- أبلغتني سيدتي أن أقول لك، أنك تبالغ بمظاهر الفـرح، ويجب أن تحدّ منها.

- هل استيقظت من جديد؟

- للحظات فقط.

- حسناً.. لا بأس، سأحاول الحدّ من مظاهر الفرح.

بدأ حفل الزفـاف.. وسـمع قـرع الطبل مصـحوباً بعـزف نـاي.. جعل الشـبان والفتيـات يزدحمـون في حلقة الـرقص رغم محاولات الشيخ حمدان الحدّ من مظـاهر الفـرح..شـرد عامر: ((كأنني أعيش في حلم، إنه مظهر احتفالي قد لا أرى مثله في حياتي)).

- عامر.. ما بك؟ تبدو شارداً.

- أتأمل مظاهر فرح المدينة بزفافنا.

- ولكن أبي حزين، ألم تلحظ الحُزنَ على حركاتِه؟

- لا بأس يا سمية كل الآباء والأمهات يحزنون لفراق فتياتهم اللواتي يذهبن إلى بيت رجل آخر .

- ولكني أتزوج غريباً عن مجتمع مدينتي الصغيرة.. ولن أعود إلى هنا أبداً.

- خائفة يا حبيبتي؟

- معك لا أخاف شيئاً، ولكني حزينة على والدي.

- إنه حزن ممزوج بفرح.

- قد لا يرى أحفاده.. من خرج من(مودس) لا يعود إليها أبداً.

- سنحاول زيارتها في المستقبل، أعدك..

واستمرت مظاهر الفرح حتى قبيل الغروب حيث صرف الشيخ حمدان الناس وهو يشكرهم.. وقاد بيديه سمية وعامر إلى البيت..

- كل شيء جاهز لرحيلكما، ما إن يعم الظلام حتى تتحركا من هنا في حفظ الله كما حددت والدتك.. اعتنِ بسميّة يا عامر.. ولا تنسى أنها ستكون غريبة بين أهلك.

- أرجوك يا عماه، لا تقل مثل هذا الكلام، لن أجعلها تحسّ بالغربة أبداً.. هي نسيم الحياة الذي أتنشقه

- بارك الله فيك.. أعددنا لكما عشاءاً خفيفاً، وحين تظهر النجوم في السماء سنودعكما إلى خارج المدينة .

قضى عامر وسمية بعض الوقت، وتناولا عشاءيهما، وكانت سمية تبكي بحرقة على فراق والدها، وبعد أن ظهرت النجوم من بين فرجات الصخور، تحرك عامر وعروسه صوب السيارة.

ورافقهما جمع غفير، وظل الناس ينظرون باستغراب للسيارة وعامر يتحرك بها بعيداً وقد وضع نجم القطب على يمينه، من الجهة الغربية من المدينة.. كما أوصته والدة سمّية..

-16-

كـــان يقطع الطريق الـــرملي إلمـــتيبس قليلاً، وأضـــواء السـيارة تشق عتمة الليــل، دون أن يتوقــف، وهو يرجو أن يصل إلى الطريق المعبد سريعاً..

طالعته أضواء من بعيد، كانت هناك اسـتراحة كما خمّن.. فشعر بالارتياح وهو يقبض بأصـابعه على أصـابع سـمية الـتي تكـوّمت ملتصـقة بـه.. أوقف السـيارة ثم خـرج منها قـرب الاستراحة:

- سنستريح قليلاً، قبل أن نتابع رحلتنا.

- كما تشاء، افعل ما ترغبه يا عامر.

- انتظري قليلاً، سأرى من في الاستراحة وأعود إليك.

- حسناً يا عامر.

دخل عامر فوجد رجلاً مسناً:

- السلام عليكم.. ألا أحد هنا سواك يا عم؟

- لا يا بني، أنا أقيم هنا، ولا سيارات عـابرة مسـافرة في هذه الأيام فالطقس شديد الحر.

- نحتاج لبعض الماء والطعام.

- ســأحاول أن أؤمن لك ما تشــاء.. ولكن كيف تغـــامر بالرحيل في هــذا الجو المضــطرب، قد تنشأ الزوابع الرملية في أية لحظة.. العديد من المسـافرين فقـدوا داخل الرمـال نتيجة تلك الزوابع؟

- الحدود بعيدة عن هنا؟

- ليس كثيراً بضعة كيلو مترات فقط.. تسافر وحيداً؟

- لا.. زوجتي معي إنها في السيارة.

- أصلحك الله كيف تسافر مع زوجتك في هذه الصـحراء الشاسعة التي لا تخلو من وحوش الليل وقطاع الطرق.

- سـافرت كثـيراً من قبل ولم أتعـرض لأي خطـر.. عن

إذنك سأحضر زوجتي..

اتجه صوب السيارة: -هيا يا سمية..

كـانت نائمـة.. لم يوقظهـا. أحضر الطعـام إلى السـيارة. وتابع المسير.. منطلقاً على الطريق العام وسـمية نائمة إلى جانبه بعمق، وفجأة تذكر شيئاً فتحرك بقلق، وهو يـراهم عن بعد:

- إنهم حـرس الحـدود، يا إلهي كيف لم أنتبـه، ليس لـدى سمية جواز سفر، كيف سأعبر بها الحدود؟

كـان في السـيارة مـترددأً بـالاقتراب من رتل السـيارات التي تعبر الحدود حين اقتربت منه سيدة عجوز:

- الأستاذ عامر؟

- نعم.. خير يا خالة؟

-.. لك أمانة عندي، انتظرتك طويلاً.. تفضل.

أعتطه مظروفـاً وحين فتحه فـوجئ مفاجـأة لا توصـف: ((يا إلهي معقول؟ إنه جواز سفر لسمية من أين أحضــرته يا خالة؟ ومن الذي أعطاه لك؟))

- زوجي يعمل بالجوازات، وقد أتت لزيارتنا امرأة مســنة مريضة قليلاً، ومعها هذه الفتــاة، وطلبت من زوجي أن يجهز جواز سفر لابنتها بسرعة كبـيرة.. بـارك الله بهـا، لقد شـفت لي ابــني من مرضه الطويــل.. إنها أشــبه بالقديســات.. عن إذنك يا أستاذ عامر..

شعر بالـذهول وهو يتأمل جـواز السـفر، ويحـدق بسـمية النائمة.. ثم خرج من السـيارة يقـدم أوراقه لحـرس الحـدود وعــبر الحــدود مع زوجته بســهولة لم يكن يتوقعهــا.. واتجه صوب الشـمال سـعيداً للحظ الـذي حالفـه، ومسـتغرباً كيف أتاه جواز السفر، بتلك الطريقة التي لا تصدق؟

لابد وأنها(أم سـمية) تلك العجـوز الغامضـة، ذات القـدرة الخارقة التي ساعدت ابنتها بطريقة مجهولة.. غامضة أيضاً!!

ولم تستيقظ سمية، إلا مع تباشير الصباح الأولى.؟

- أين نحن الآن يا عامر؟ آه يا إلهي..

- أنت معي يا حبيبتي، يبدو أنك نمت طويلاً..

- كـان حُلمـاً غريبـاً.. قـادتني فيه أمي إلى مبـنى كبـير، لتقابل رجلاً يرتدي مثل لباسك وهي تهمهم ستحل المشـكلة لا تخافي.. ولم أعرف عن أي شيء تتحدث.. آه مـازلتُ أذكر

ذلك المبنى الأبيض الكبير.

- لم يكن حلماً عادياً.. يا إلهي.. ألست جائعة يا حبيبتي؟

- قليلاً.. ألديكَ طعام؟

- نعم.. سنتوقف قليلاً ونتناول بعض الطعام قبل أن نتابع سيرنا.

تـابع عـامر وسـمية طريقهما صـوب الحـدود الأخـيرة.. واجتازاها بســهولة أيضــاً وقبيل المغــرب بقليل وصل إلى المدينة الصغيرة..

اجتاز الشوارع حـتى وصل إلى حيّه الفقـير.. كـان خائفـاً مرتبكــاً من اســتقبال أمه له ومعه عروسه الغريبة من تلك المدينة المجهولة(مودس) بين رمال الصحراء وصخورها..

اســتقبله اخوته بفــرح كـأنهم لم يصــدقوا وقد انقطعت أخباره عنهم لنحو أسبوعين متواصلين..

منذ أن هتف لهم أنه قــــادم وسيصل خلال يـــــومين.. اسـتغرقت رحلته أسـبوعين في حسـاب التـواريخ، أخذ يـبرر لهم تأخره من أنه أراد أن يفـاجئهم بزواجـه.. وكـان الشـيء الذي يخاف منه هو أن يتقبلوا زواجه باستغراب وعدم رضا.

ولكنه شـعر بالسـعادة لأنهم أحبـوا سـمية الـتي انطلقت بالحـديث تجـاريهم بأحـاديثهم البسـيطة عن المـرأة والـزواج والأولاد..

ودخل معها إلى غرفة أمه المريضة.. وهو قلق خائف:

- آه يا بني.. خفنا عليك كثيراً.. الحمد لله أنت بخير.

- هذه زوجتي يا أماه.

- رأيتها في الحلم، بارك الله لكما.. لقد أحببتِك كثيراً في الحلم، وسأحبكِ أكثر وأنت إلى جانبي زوجة لابني.

- بارك الله بك يا أماه.

- أمـاه؟ نعم سـأكون بمقـام أمك يا حبيبـتي لن تشـعري بالغربة معي.

غمغمت: - الحمد لله.

شعر عامر أن(ظل أم سمية) معهما دائماً يساعدهما في كل شــيء.. ولكنه في تلك الليلة صــحا على بكــاء ســمية.. كـانت تفتقد أهلهــا.. ضــمها بين ذراعيه بحنــان وهو يكفكف دمعها.. وقد صمم أن يحـاول بعد أشـهر البحث عن(مـودس)

المدينة المختفية في قلب الصحراء.

ولم يسلم عامر خلال إجازته من تعليق أقربائه على زواجه.. بل إن بعض بنات عمه حاولن مضايقة سمية بالسخرية من الزي الذي ترتديه، والتي أصرت أن تستقبل به الناس، رغم محاولات عامر أن يجعلها تستعيض عنه بأثواب جديدة كثيرة أحضرها لها لاستقبال الضيوف..

آه ماأروع تلك الزوبعة الرملية التي قذفت به قرب(مودس) وجعلته يعثر على سمية ويتعشقها.. ويعود بها زوجة بعدما عثروا على سيارته، كأنها لم تخدش ولم يمس أحد الأشياء التي بداخلها..؟

***

عاد(عامر) إلى البلاد التي يعمل بها.. ومعه سمية، بعد أن ودعتها أمه بحرارة وبكاء، وهي توصي عامراً بها.. وخلال مسيرته في الصحراء، شعر بالحنين لرؤية(مودس) من جديد ولكنه خاف أن يغامر بالاتجاه الذي تخيله ليضيع في صحراء مترامية الأطراف..

وهكذا تابع طريقه إلى المدينة التي يعمل بها ومعه سمية.. التي كانت شاردة وهي تلتصق به بمحبة وحنان.

-17-

ما الذي يحصل لك يا سمية؟ لماذا أنت ساهمة شاردة؟ ما الذي يجري لك؟ ألا يغمرك حب عامر وينسيك غربتك؟ خرجتما من(مودس) المدينة الصغيرة، الجزء الباقي من(مودس) الكبيرة التي دمرها الظلم والفساد فأتى الزلزال على القسم الأكبر منها، وألقت طيور سوداء كبيرة الحجم الحجارة الضخمة من مناقيرها ومخالبها فوق بيوت فسادها المنحوتة في الصخر..

كنتما سعيدين، تسع فرحتكما العالم، وتقبلتك أم عامر في وطنه، كأم لك، شعرت بحنانها يسيل عذوبة وعاطفة، فأركنت رأسك إلى صدرها باطمئنان، وهي تساهم في تعريف من حولك بك، أنت التي جئت كالحلم، زوجة لابنها، قرة عينها عامر..

***

والسيارة تقطع بهما الطريق الصحراوي صوب المدينة التي يعمل بها عامر، كانت سمية صامتة شاردة حزينة، وعامر مشفق على حزنها، وقد أيقن أنها تتذكر أهلها في المدينة الضائعة في الصحراء..

ولكن شرودها وحزنها زاد عن الحد بالنسبة له.. فأمسك يدها بحنان:

- ما بك يا حبيبتي؟ لماذا أنت شاردة حزينة هكذا؟

- إنهم هنا، في مكان ما من هذه الصحراء، أمعقول أن لا نعثر عليهم، وكيف جئت إلينا هكذا؟ كيف قذفت بك الزوبعة صوبنا وتعرفت على (مودس) وصرت واحداً من أهلها؟ يعني أن(مودس) موجودة قريبة لو بحثنا عنها جيداً..

- ترغبين بالبحث عن (مودس)؟ لا بأس يا حبيبتي.. سألبي رغبتك هذه بعد أيام.. سآخذ إجازة من عملي من جديد لأيام قليلة. وأزرع الصحراء باحثاً عنها.. لن أخذلك يا سمية.. وإن كنت أظن كما قال لي والدك، أن العثور عليها من جديد قد يكون مستحيلاً..

- لماذا يا عامر؟ ما دامت موجودة سنعثر عليهــا، ونحطم أسطورة ضياعها الطويل تلك..؟

- معك حق.. وأنا متحمس لرؤية أهلك من جديـد، للإجابة عن تساؤلات أخرى، مازالت ترهقني حول ما حــدث لنا على الحــدود.. وقد ســلموني جــواز ســفرك الــذي لا أدري كيف استخرجوه..

- أمصـــمم أنت على الالتحـــاق بعملك على الفـــور؟ ألا تستطيع تأجيل ذلك يا عامر؟

- لا يا حبيبــــتي.. يجب أن ألتحق بعملي غــــداً، إنهم لا يرحمــون من يتــأخر عن عمله وقد زادت أيــام تــأخري عن الســـبعة.. مـــاذا أفعل وأنا أعلم القـــوانين الصـــارمة في شــركتي؟ لقد قـدمت لها الكثـير من الإنجـازات إبـان فـترة عملي، ولكن التأخير لأكـثر من أسـبوع، قد يجعلهم يصـدرون قرار تسريحي، لأنني لم أرسل لهم أي تبرير لغيابي..

- حســـناً.. كما تشـــاء، ولكن عـــدني أن نعـــود للبحث عن(مودس) من جديد

شد على يدها بحب: أعـدك يا سـمية.. ولن أخلف وعـدي يا حبيبتي..

***

فـوجئ زملاء عـامر بزواجه السـريع، واعتقد بعضـهم أنه أحضر زوجة من وطنـــه، حـــتى لا يبقى وحيـــداً في بلاد ليس فيها سوى العمل ورتابة الحياة الفارغة المملة..

رتب عامر سكنه الجديد بسرعة، واشترى بعض اللـوازم، ووجدت سمية نفسها فجأة مسؤولة عن البيت وعن تنظيفه، وعن طبخ الطعـام، والعناية بزوجهـا، واعتـادت سـريعاً على التقنيـات الجديـدة الـتي لم تألفها من قبـل.. تقنيـات الطبخ والأدوات الكهربائية المختلفـــة، حـــتى فكر عـــامر بتعليمها الحاسـوب وأسـلوب برمجتـه، وقد رأى فيها امـرأة شـديدة الذكاء..

ولكن سمية لم تنسَ أن تـذكر عـامر بالإجـازة الموعـودة كل فترة وهو يؤجلها لأيام أخرى.. وفي أحد الأيام..

- لـــدي مهمة في المنطقة الغربية يا ســـمية. ســـأغيب ليـــومين فقـــط.. وأضع لك كل احتياجاتك في الـــبيت قبل سفري..

- تتركني وحدي ليومين؟

- ماذا أفعل المكـان الـذي سـأذهب إليه ليس فيه سـوى الرجال..

- أين هذا المكان؟

- إنه في أعمـاق الصـحراء، معسـكري ليس فيه سـوى العمال والفنيين، ومهمتي هناك، حاولت كثيراً أن أقنع الإدارة بتكليف غيري، ولكنهم رفضوا..

- لا أسـتطيع أن أتصـور كيف سـأنام وحيـدة وأنت عـني بعيد؟

- أرجوك سـاعديني يا سـمية، لقد وعـدوني فـور عـودتي بإعطائي إجازة لمـدة أسـبوع.. سـأتفرغ فيه لـك، لنبحث عن (مودس)..

- متأكد من ذلك؟

- نعم يا حبيبتي..

- حسـناً.. سأصـبر على وحـدتي وعزلـتي ليـومين.. كما تشاء يا حبيبي..

تنهد عامر وهو يضمها: - الحمد لله..

***

وسـافر عـامر في مهمتـه، وبقيت سـمية وحيـدة، تقفل عليها باب المنزل دون أن تأبه بمن يرن جـرس بـاب الـبيت، أكـان بـائع الحليب؟ أم بـواب العمـارة أم بعض أصـدقاء عامر؟..

بدا للجميع أن البيت خال من سكانه.. وهكذا نامت ليلتها الأولى بعد أن سـهرت لسـاعة متـأخرة.. وحلمت بالشـيخ حمـدان-والـدها- ينظر إليها ويبكي.. وفي اليـوم التـالي.. سـمعت صـوتاً جهة البـاب.. كـانت السـاعة لم تبلغ الثانية عشرة ظهراً.. اقتربت بحذر شديد تتنصت..

كان هناك حوار بين رجلين وامرأة أمام الباب..

- كيف ستستطيعان فتح الباب، يبدو مستعصياً.

- لا تخافي، لدينا وسائلنا الخاصة..

- متأكدة أن لا أحد هنا؟

- بـالطبع، مر كثـيرون أمس واليـوم وقرعـوا البـاب ولم يفتح لهم أحد، يبدو أن الرجل قد اصطحب امرأته إلى مـنزل أحد أصدقائه، بدلاً من تركها وحيدة..

- أعطني حزمة المفاتيح لنجربها.

سمعت سمية خشخشة المفـاتيح وهي تجـرب في القفل بدت جميعها غير مناسبة

سمعتهم يتساءلون:

- وما العمل؟

- سنفك القفل.. وقد نكسره..

- من الأفضل أن تفكــه، وتعيد تركيبــه.ـ وحــاذر أن تخلع قفازاتك..

- لا تقلقي.. قفي هناك أمـام المصـعد، قـرب الـدرجات، ونبهينا إن حضر أحد.. وإن كنت واثقاً أن لا أحد يروح ويجيء في مثل هذه الساعة.

- الأولاد في المدارس، والأمهات في الـبيوت والآبـاء في أعمالهم.. لا داعي للخوف..

- معك حق.

وسمعت سمية أصوات الطرق ومحاولة فتح البــاب وهي ترتجف من الخوف.

- يبدو مستعصياً.

- دعني أجرب..

تأكد لديها أنهم لصوص، سيقتحمون البيت، ماذا تسـتطيع أن تفعــل؟ ومن أين تطلب النجــدة؟. بــدا لها أنها في ورطة حقيقية..

يبدو أن اللصوص صمموا على خلع الباب وتوصلت سمية إلى قرارها أخيراً:

- لن أتركهم يستولون على كل شيء.. يجب أن أصرخ..

وفعلاً أطلقت صوتها الصارخ..

- أيها اللصوص.. ابتعدوا من هنا..

همهم أحدهم:

- هناك أحد في الداخل..

صرخت:

- ابتعدوا من هنا، قبل أن يتجمع الناس على صراخي.ـ

سمعت ضحكاتهم:

- أنت وحيدة، ولا أحد في هذا الطابق، لن يسمعك أحد..

- وماذا لو صرخت، بعد أن أفتح النافذة الأمامية؟

أعطى أحدهم أمره:

- عجلوا ادفعوا الباب معي، لن نعطيها الوقت لذلك..

وفعلاً تحطم البــاب وســقط وســمية تصــرخ وقد فتحت النافذة:

- النجدة.. يا ناس.. اللصوص يهاجمون منزلنا..

اندفع إليها أحدهم:

- لنسكتها قبل أن ينتبه الناس..

- النجــدة.. إنهم يعتــدون علينــا.. يا نــاس.. أرجــوكم.. النجدة.. النجدة

- تعالي هنا.

ولكنها لم تكن صيداً سهلاً فقد تصدت بقوة لمهاجمها،

زمجر رفاقه:

- استخدم سكينك في إسكاتها، بسرعة..

ولكنها قاومت وهي تصرخ:

- لن أسمح لك باستخدامها..

لــوت ذراعه بقــوة هائلــة، وقلبته على الأرض ووضــعت كرسياً في يدها تحاول به صد هجومهم عليها..

واندفع الصخب خارج المنزل فلقد نجح صراخ سـمية في جلب بعض الناس من الشارع..

خــرج اللصــوص مســرعين قد أصــابت ضــربات ســمية أحدهم في وجهه وصدره.. وبطنـه.. وقد حـاول بعض النـاس إمســاكه، إلا أنه دفع الجمع المتكــاثر حوله ورفاقه وفـــروا مسرعين إلى السيارة التي كـانت المـرأة قد دخلتها وأدارت محركها.. وَضُـحَ للجميع أن هنـاك محاولة اعتـداء على الـبيت وعلى المرأة التي بداخله.

وخلال دقـائق حضـرت الشـرطة.. استفسر قائد الدورية من ســمية عما حــدث.. وكتب الشــكوى الــتي أبلغتها لــه.. وطمأنها أنه سيضع شرطياً في المدخل..

- لا تخـافي يا سـيدتي، لن يجـرؤوا على إعـادة الكـرة.. ولكن أين البــواب لمــاذا لم يظهر حــتى الآن قلت إن زوجك

في مهمــة، كيف يتركك وحيــدة هكــذا؟ كــان من اللازم أن تكوني معه؟

- إنه في مهمة في قلب الصحراء في منطقة بعيدة..

- ألا تعرفين أحداً هنا؟

- لا يا ســـــيدي.. جئت وزوجي قبل أقل من شـــــهر، لم أتمكن من التعرف إلى الناس بعد..

- لا بأس..

وأتى البـــواب وهو يرتجف والضـــابط يحدجه بنظـــرات غاضبة:

- كيف تـــركت مكانك في مـــدخل العمـــارة وســـمحت للصوص أن يقتحموا بيت هذه السيدة..؟

- كنت في المشفى مع ابني..

- مع ابنك؟ ومن يشهد لك بذلك؟

- زوجتي يا سيدي.

- أي مستشفى؟ سنتأكد من ذلك.

- كيف يا سيدي؟ ألا تصدقني؟

- يجب أن تثبت أنك كنت في المشفى..

- أرجوك يا سيدي، سامحني.. لم أكتب اسمي في سجل الزوار في المشفى.. لن تجد دليلاً على وجودي هناك..

- لأنك لم تكن موجوداً هناك.. أين كنت أصدقني القول؟

همس البواب منكسراً:

- كنت في عمل يا سيدي.. في مكان قريب من هنـا.. لم أفكر يوماً أن بيوت عمارتنا ستتعرض للاقتحام.. ســامحني يا سيدي..

- كنت تعمل إذن؟ هـــذا مخـــالف للقـــانون.. يجب أن أســجنك.. أنت المســؤول عن أمن البنــاء.. وســتعاقب لأنك أهملت واجباتك.

- أرجوك يا سيدي سيطردني صاحب البنـاء.. لن أعيـدها صدقني.. سأستقيل من وظيفتي الأخرى..

- لا بأس. سنرى ما يمكن عمله..

اقترب من سمية بذل:

- هل أنت بخير يا سيدتي..؟

- كيف ستكون بخـير وقد كسـروا البـاب واقتحمـوا عليها البيت؟

أخذ يبكي وهو يردد:

- آسف يا سيدتي

أشفقت عليه: - لا بأس.. لقد سامحتك..

واعترض الضابط:

- ولكني لن أسامحك، هناك الحق العام.. هيا جهز نفسك للرحيل معنا..

رجته سمية:

- أرجوك يا سيدي.. اتركـه، إنه فقـير يسـتحق الشـفقة.. لديه سبعة أولاد، كالجراد في قبوه المعتم في البناية.

- حســناً يا ســيدتي سنســامحه.. بعد أن نأخذ أقوالــه.. أتريدين شيئاً الآن؟

- نعم.. هذا الباب المخلوع من سيصلحه؟

قال البواب:

- سأحضر نجاراً إن سمحت لي يا سيدي.

- لا بأس ولكن بسرعة.

-18-

قضت سـمية ليلتها الثانية بـرعب شـديد، وقد تخيلت أن اللصـوص عـاودوا الكـرة وهـاجموا الـبيت من جديد وغفت أخيراً بعد أن تـذكرت أمهـا.. فعـاد إليها الهـدوء والاطمئنـان، واستيقظت على قرع الباب..

- من بالبـــاب الآن؟ إنها السادسة صـــباحاً.. من الـــذي يطرق الباب، ربما كان البواب.. يجب أن أعرف من بالباب.

ولكنها سمعت صوت عامر فاختلج قلبها:

- افتحي يا سمية.. أنا عامر..

صرخت بفرح غامر:

- عامر.. معقول.. حمداً لله على سلامتك يا حبيبي..

- سمية، أنت بخير؟

- لماذا؟ هل حكوا لك ما جرى؟

- ما جرى؟ ماذا تقصدين؟ أحدث شيء في غيابي؟

- تبدو متلهفاً؟

- رأيت حلماً مزعجاً كأن الأفاعي تطاردك وأنت خائفـة؟ أنهيت عملي بسرعة غريبة وجئت إليك خائفاً قلقاً.

- سأحكي لك كل شيء.. يا حبيبي.

حكت له ما جــرى لهـا.. مع اللصــوص، فشــعر بــالقهر والغضب، كيف طاوعته نفسه على تركها وحيدة؟

أحس بدفق من الحنان يتـدفق في شـرايينه فضـمها بين ذراعيه بعاطفة جياشة..

ولكن سمية، سرعان ما عادت إلى هدوئها..

- ستطلب من الشركة منحك الإجازة كما وعدك المدير..

- أمازلت مصرة على البحث عن(مودس)؟

- نعم يا حبيبي.. أشعر بالحاجة لرؤية أهلي.. أنا مشــتاقة

لرؤيتهم.. قد أستطيع أن أجد(مودس) وأتعرف على مكانها بصحبتك.. عندها سيكون سهلاً علينا زيارتهم بين فترة وأخرى.. بل وإقناعهم بزيارتنا..

- أرجو أن يتحقق حلمك يا سمية.. سأستريح قليلاً وتنتاول الإفطار ثم أذهب للشركة وأطلب الإجازة التي وعدتك بها..

- يا أغلى من حياتي.. آه كم أحبك يا عامر..

- وأنا أحبك يا سمية حباً يفوق الوصف..

ناما بعمق تلك الليلة.. وبعدما حصل عامر على إجازته الموعودة وهيأ السيارة والمؤونة اللازمة للرحلة في مساء ذلك اليوم... وفي الصباح الباكر من اليوم التالي استيقظ على سمية تدعوه لتناول الإفطار والبدء بالرحلة الغامضة للبحث عن(مودس) المدينة الضائعة..

نقل عامر الأغراض للسيارة.. وأوصى البواب بالانتباه والحذر حتى لا يعود اللصوص من جديد، ثم اتجه وسمية صوب الغرب.. نحو عمق الصحراء، وبعد عدة ساعات وصلا إلى بناء بدا وحيداً على الطريق:

- هذه هي الاستراحة التي تزودت فيها ببعض الماء والطعام قبل أن تدهمني الزوابع الرملية.. ما رأيك لو نستريح بها قليلاً ثم نتابع المسير؟

- لا بأس.. يا عامر.. كما تشاء.

- ألست جائعة؟

- لا.. ثم أن لدينا طعام خاص أعددته لرحلتنا.

- سنشرب الشاي إذن.

- أرى سيدة عجوز تجلس هناك.

- ربما كانت زوجة ذلك الشيخ الذي قابلته حين بدء رحلتي.

- إنها تنظر إلينا بفضول.

اقتربا منها:

- السلام عليكم يا خالة.

- وعليكم السلام ماذا تريدان؟ الطعام أم الشراب؟

- سنشرب كأسين من الشاي فقط.

- لا بأس.. وإلى أين تقصدان في هذا الطقس الحار؟

- الغرب يا خالة.

- الطريق ليس ســـــــــهلاً.. وقد غطت معظمه الزوابع الرملية أمس.

- سنحاول الاستعانة بالبوصلة لتحديد الاتجاه.

أحضرت لهما الشاي، سألها عامر:

- زوجك ليس هنا؟

- إنه في مهمة وقد تأخر، أتوقع عودته خلال لحظات..

- مهمة؟ أي نوع من المهمات يمكن أن يكلف بها؟

- مهمة مستحيلة، ولكنه يراها ممكنة التحقيق.

ذهبت إلى عملها وتركتهما يتسامران.. وبعد دقائق سمعا صوت سيارة تقترب كان الشيخ قد أقبل فعلاً وركن ســيارته الضخمة إلى جانب البناء:

- هه.. لدينا ضيوف؟

وقف عامر مرحبا:

- ألا تتـــذكرني يا عم؟ كنت مســـافراً في الصـــحراء ونصحتني بعدم المتابعة..

- آه.. تذكرت.. أحدث لك شيء؟

- تجـــــاوزت الزوابع وأكملت طـــــريقي نحو أهلي في الشمال..

- وماذا تفعل الآن؟ عائد إلى بلادك؟ النـاس آتـون بعد أن أنهوا عطلتهم وأنت عائد؟

- ظرف اضطراري.

- انتبه إلى الزوابـع.. قد تلتقي ببعض النـاس في الاتجـاه المعاكس.

- الزوابع كثيرة في هذا الوقت من العام؟

- بعد المغيب، قد تظهر بشكل فجائي..

قالت له الزوجة العجوز.

- تبــدو متعبــاً.. قلت لك أكــثر من مــرة لن تعــثر على شيء.. لماذا الإصـرار على البحث؟ إنها الصـحراء الواسـعة، قد تبتلعك وتضـيع فيها للأبـد.. أمعقــول أن لا تشــفق علي وتتركني وحيدة؟ ليس لي غيرك..

- كفى أرجـــوك.. لا داعي أن تظهـــري حزنك أمـــام الضيوف..

سأله عامر: - هل أضعت شيئاً يا عم؟

- نعم.. وأنا أبحث عنه طيلة سنوات.. دون نتيجة..

همست سمية: - كأنني أعرف هذا الوجه يا عامر..

- ماذا تقولين يا سـمية؟ عند عودتنا لم نتوقف هنـا.. ربما يشبه أحد الناس الذين قابلتهم.

عادت الزوجة تحكي بألم:

- لا أسـتطيع أن أكبت ما في نفسـي.. لمـاذا أنت مصر على البحث المستمر وتعلم أن لا أمل لك؟

عاد عامر يسأله:

- هل فقدت عزيزاً عليك تاه في الصحراء؟ تبدو متأثراً.

- إنها قصة طويلة.. لا داعي لأن أزعجك بتفاصيلها.

أخذت العجوز تبكي:

- منذ سـنوات طويلة وهو يبحث.. ولم يتوقف عن البحث رغم تقدمه في السن ومرضـه.. أقنعه يا بـني بـالتوقف عن ذلك.. لم يعد قوياً كما كان.. قد تبتلعه الصحراء إلى الأبد..

خفف عنها الشيخ:

- هوني عليـك. أنا أعـرف هـذه الصـحراء جيـداً، رغم كل الزوابع والأنواء، كنت أعود إليـك، لم أفقد طـريقي أبـداً.. أنا من هـذه الصـحراء أهلي من البـدو الـذين خـبروا الصـحراء وعرفوها جيداً.. لا داعي للخوف.

همس عامر في أذن سمية:

- هل نذهب يا سمية؟ سنتأخر.

- أرجوك يا عامر يجب أن نعرف قصته..

كانت العجوز تبكي:

- كـدت تفقد بصـرك قبل شـهرين نتيجة الريـاح الرملية التي أغشت بصرك بذرات رملها الناعم.. آه.. ماذا أقول؟

- لم تقل لنا يا عم عماذا تبحث؟

- مصر على معرفة ذلك؟

- إن سمحت يا عماه.. قد أخفف عنك حزنك وقلقك..

- أبحث عن أهلي، إنهم في مكان ما من هذه الصحراء.

- بدو رحل؟ قبيلة من البدو؟

- ليســــوا رحلاً إنهم يعيشــــون في مدينة صــــغيرة بين الصخور .

صرخت سمية:

- مودس؟ مدينة مودس؟

- وما أدراك يا ابنتي؟ كيف تعرفين بوجود(مودس)؟

قال عامر:

- لأنها منها، كنت تبحث عن مودس إذن يا عماه؟

- نعم.. ولكن ماذا قلت؟ إنها من مودس؟ كيف؟

- أنا ابنة شيخ مودس الشيخ حمدان.. وكنت قبل أســابيع أحد سكانها..

- أنت من مودس؟ معقول؟

انبرى نحو زوجته منفعلاً:

- قلت لــك(مــودس) موجــودة.. هي ليست حلمــاً من أحلامي، أو خيــالاً مجنحــاً من خيــالاتي.. أنا ابن(مــودس) ولست ابناً للوهم..

- حسناً يا عماه.. ما هي قصتك..؟

- ربما لو حكيتها لـك.. قد تسـاعدني وزوجتـك.. ما دمتما تعرفان أين تقع مودس في هذه الصحراء؟

- أسـمعت يا سـمية.. إنه يبحث عن(مـودس) ولم يعـثر عليها، منذ سنوات ربما كانت طويلة.

تنهدت سمية:

- لا بأس يا عماه.. احك لنا القصة قد نساعدك.

- أنا أحد أبناء(مودس) كنت شاباً فتيـاً حين خـرجت منها باحثــاً عن النــاس.. مخترقــاً عزلتها الرهيبة آه.. لم أتــذكر اسم(شـيخ مـودس) في ذلك الحين، وإن كنت متأكـداً أنه لم يكن حمدان.. ليت ذاكرتي تسعفني

- هل كان اسمه الشيخ(هايل المودسي)؟

- نعم.. نعم.. كان الشيخ هايل.. كيف غاب عن ذهني هذا الاسم؟

- إنه جدي.. والد أبي..

قال عامر:

- حدثنا يا عم.. متى غادرت(مودس)؟ ولماذا غادرتها؟

- آه يا بني.. أمعقول أن أعثر على بعض أبناء(مودس)؟ لست أصدق نفسي أنا سعيد بمعرفتكما.. على كل حال سأحكي لكما شيئاً من قصتي الطويلة..

((اسمي حسن بن أحمد المودسي.. كنا أربعة أخوة.. نعيش في أسرة هادئة.. كان أبي يعمل في صناعة الفخار.. وكانت أمي تساعده أحياناً.. كنت الأصغر بين أخوتي.. وكانت أمي تدللني كثيراً.. وأنا آخر العنقود كما يقولون.. توزع أخوتي في مهن مختلفة، ولم يعمل أي منهم في الفخار كأبي.. وهذا ما جعل أبي يضع ثقته بي.. لأرثه في تلك الصناعة التي كانت ضرورية في(مودس) كانت أمي تقول لي باستمرار.

آه يا حسن، لو منحني الله أنثى، بين هؤلاء الذكور، لساعدتني كثيراً وأنا أتقدم في العمر.. كنت أتمنى لو أن زوجات أخوتك يعاملنني كأم.. كم أنا بحاجة لذلك.. ولكني لا أرى أياً منهن إلا كل شهر حيث يجتمع الجميع هنا.

وكنت أقول لها:

- عندما أبلغ العشرين سأحضر لك زوجة تخدمك طيلة حياتك وأبي..

- أنت في الثامنة عشرة، هل أنتظر كل هذا لوقت، حتى العشرين؟ أغلب أخوتك تزوجوا في مثل سنك.. حاول أن تعجل بالزواج.. سأختار لك أجمل فتيات مودس..

فكرت حائراً: ((لقد اخترتها يا أمي.. (عبلة) هي أجمل الفتيات وأكثرهن عاطفة ووعياً)).

لحظت شرودي:

- أتفكر في فتاة معينة؟ قل لي اسمها سأخطبها لك اليوم.

- لم يحن الأوان بعد يا أماه.. أرجوك أمهليني بعض الوقت؟

- كما تشاء يا بني.. ولكن لا تطل هذا الوقت..

-19-

((كانت"عبلة" ابنة صانع مقابض السكاكين والخناجر.. وكنا نحب بعضنا منذ الطفولة.. وتفتحت أنوثتها وأنا أرقبها كزهرة عطرة ولم تكن أمي قد تأكدت من أن عبلة هي فتاتي وقدري.. وذات يوم كنت وعبلة نطل من فتحة الصخور على الشمس، التي تنزلق خلف حافة الأفق)).

- أتعلمين يا عبلة.. مازالت أمي تلح علي لا يفوتها يوم دون أن تلمح لي بالخطبة والزواج.. وكدت أبوح باسمك لها.. مع أنني متأكد أنها تشك بأنك أنت من أريدها.

- عندما تنتهي المهلة المحددة يا حسن..

- كما تشائين يا عبلة.. ولكن ألم يحن أوان كشف سر هذه المهلة بعد؟ أصدقيني القول يا حبيبتي..

- آه يا حسن.. كنت أتمنى أن أكشف لك كل شيء.. ولكني مرتبطة بقسم أقسمته أمام تلك العرافة العجوز التي ظهرت لي قرب المدخل الشرقي للمدينة.. ثم اختفت.. كأنها طيف.

- العرافة؟ لماذا أصرت هذه العرافة على ربطك بقسم، يجب أن لا تحنثي به؟ ومن هي تلك المرأة.. هل هي من مودس؟ وهل أعرفها؟

- حتى أنا لا أعرفها يا حسن، هي ليست من مودس قلت لك أنها ظهرت لي قرب المدخل الشرقي..

وقضت معي وقتاً حكت لي كل شيء عن مستقبلي ثم اختفت..

- إنه أمر غريب.. ليتك تحكين لي عن كل شيء.. لماذا ربطتك بذلك القسم؟

- آه يا حسن.. لم يعد الوقت الذي يفصلني عن كشف السر، طويلاً حاول أن تصبر.

- كما تشائين يا حبيبتي.. انظري للشمس بدأت تغيب وظهرت نجمة المساء.. آه.. لن تكتمل سعادتي دونك يا

عبلة.

ومر الوقت بطيئاً ثقيلاً، وحانت اللحظة الـتي حـددتها لي عبلة من أجل كشف السر، وكنت متلهفاً لذلك..

كـانت عبلة في تلك الأيـام تـذوي شـيئاً فشـيئاً.. دون أن أعرف شيئاً عن مرضها.. وكـانت متعبة حين طلبت الاجتمـاع بي وحين ذهبت إلى دارها حادثني والدها:

- أرجــوك يا حسن حــاول أن تقــوي من عزيمتهــا، هي ترفض الطعام والشراب ولا تتناول الدواء الذي يصنعه طبيب الأعشاب الشيخ..

- مرضها ليس سهلاً إذن؟ أمعقول يا عمـاه أن لا أعـرف ذلك؟

- أرجـوك يا بـني.. هي من طلبت مـني كتم الموضـوع.. ولست أدري السبب.

- كيف لي أن أعيد لها البسمة؟ يا إلهي معقول؟

- إنها تريدك الآن حاول إقناعها بتناول الطعـام والـدواء.. أرجوك يا حسن..

- سأفعل كل شيء لإنقاذها يا عماه..

دخلت إليها كانت ممددة على السرير ذابلة كالزهرة:

- حسن.. جئت أخيراً؟

- أمعقـول يا عبلـة؟ أنت متعبة مريضـة، وكنت أظن أنك تتهربين من لقائي، حتى يحين موعد كشف السر.

- طلبت من أبي وأخوتي أن لا يخـبروك.. حـانت اللحظة الآن.

- ستكشفين لي السر وأنت متعبة.

- أتت لحظـتي يا حسـن.. أنا في آخر أيـامي.. قد أمـوت اليوم أو غداً.. هكذا قالت لي العرافـة.. في مثل هـذه الأيـام قابلتها.. وحكت لي الكثير من الأسرار، وقـالت لي سـتظلين في ذاكرة حسن طوال عمره.. أرجوك يا حسـن.. اعـذرني.. نهشـني المـرض، منذ زمن بعيـد، وقد طلبت من العرافة أن تحكي لي عن مسـتقبلي فصـمتت طـويلاً وأمـام إصـراري حكت لي.. آه يا حسـن.. أمعقـول أن أعطيك موافقـتي على الزواج وأنا أعرف أنني سأموت.. آه.. يا حبيبي.

كدت أنفجر من القهر.

- أمعقول يا عبلة؟ كيف يحدث هذا كيـف؟ يا إلهي؟ أكـاد أجن.

وماتت عبلة ودفنتها بيـدي، وأنا أشـعر بحـزن لا يوصـف، ولم يطل بي المقـام في(مـودس) فخـرجت منها هاربـاً من أحـزاني ومتـاعبي.. ولم أسـتطع الابتعـاد كثـيراً، رغم أنـني تـزوجت وأنجبت الأولاد، فقد كـانت عبلـة، تـأتيني كثـيراً في الحلم فأشــعر بــدافع يــدفعني وأنا أتــذكر أيــامي مع عبلة لمعرفة ما جــرى لأهلي، وأهل عبلــة.. ومنذ سـنوات طويلة ومودس في خاطري أجوب عنها الصـحاري لائبـاً حـائراً دون نتيجة..

شدت العجوز على يده راجية:

- يكفيك حزنـاً يا حسـن.. تـذكر أنـني موجـودة لم أمت بعد..

- لا بــأس.. قلتِ يا ابنــتي يا ســمية إنك تبحــثين عن مودس.. وقد خرجتِ منها مؤخراً، في أي اتجاه ستبحثين؟

- لا أدري.. سنحاول زرع الصحراء أنا وعامر بحثاً عنها.

- كنت أعتقد أن المقولة.. التي حكى عنها أبناء مـودس.. أن من يخرج من مودس لا يعود إليها أبداً.. مجرد خرافة.

- لن نيأس يا عماه.. قد نعثر عليها.. من يعلم؟

- ســنبحث عنها ســوية في الغــد.. أنا أعــرف الصــحراء جيداً.. لماذا لا تنامان هنا اليـوم وفي الغد نبكر في التجـوال والبحث؟.

همس عامر:

- ما رأيك يا سمية؟

- كما تشاء يا عامر.. قد يفيدنا، إنه خبير بالصحراء..

ولم يسـفر البحث عن شـيء.. وما زالت سـمية وعـامر وذلك الشـيخ المتعب يـأملون بـالعثور على(مـودس) المدينة الضائعة في قلب الصحراء.

الرياض- شباط (فبراير)1998.

❍❍❍

(صدر للمؤلف)

دراســـــات:

1-العالم من حولنا (وزارة الثقافة -دمشق 1976).

2-في العلم والخيال العلمي (ابن رشد -بيروت، 1980).

3-نافــذة على كــوكب الحيــاة (وزارة الثقافة -دمشــق، 1980).

4-سحر الأسطورة (وزارة الثقافة- دمشق 1991).

5-الحاسة السادسة (دار المعرفة -دمشق 1990).

6-الكون يكشف أسراره (دار معد -دمشق 1992).

7-كوكب العاصفة (دار معد -دمشق 1993).

❍

قصص وروايات من الخيال العلمي:

1-كوكب الأحلام (للأطفال -اتحاد الكتاب 1978).

2-الصــــــابرون خلف الشـــــــمس (رواية -وزارة الثقافة 1979).

3-صوت من القاع (قصص -وزارة الثقافة 1979).

4-ضــوء في الــدائرة المعتمة (قصص -اتحــاد الكتــاب 1980).

5-ليس في القمر فقراء (قصص -اتحاد الكتاب 1983).

6-أســـرار من مدينة الحكمة (قصص للأطفــال -اتحـــاد الكتاب1987).

7-محطة الفضاء (قصص -اتحاد الكتاب1988-).

8-تلك الليلة الماطرة (قصص -اتحاد الكتاب1993).

9-السبات الجليدي (قصص -اتحاد الكتاب1994).

10-ثقب في جدار الزمن (قصص -هيئة الكتاب -القـاهرة 1992).

11-الخروج من الجحيم (قصص -وزارة الثقافة 1995).

12-الــــــذي أرعب القرية الآمنة (قصص -وزارة الثقافة 1996).

13-خفايا النفس البشـــرية (قصص -الكـــاتب العـــربي

1996).
14-بئر العتمة- (قصص -دار علا 1996).
15-شحنة الدماغ (قصص -اتحاد الكتاب1997).
16-في كـــوكب شـــبيه بـــالأرض (رواية -وزارة الثقافة 1999).
17-عـــوالم من الأمســـاخ (رواية -دار الفكـــر- دمشق 1997).
18-رجل من القـــــارة المفقـــــودة (رواية -دار الفكر - 1997).
19-فضاء واسع كالحلم (رواية -دار الفكر-1997).
20-ابن الغابة (قصص -دار الفكر-1999).
21-النفق (قصص -دار الفكر-1999).
22-زمن القبعـات المنتفخة والألســنة الطويلة (قصص - دار الفكر-1999).
23-شفافية أشبه بالصدى (قصص -دار الفكر-1999).
24-تلك الخنازير البرية (قصص -دار الفكر-1999).
25-الزمن الصقيل (قصص -دار الفكر-1999).
26-رواد الكوكب الأحمر (قصص -دار الفكر-1999).

❍❍❍

ÑÞã ÇáÇíÏÇÚ Ýí ãßÊÈÉ ÇáÃÓÏ - ÇáæØäíÉ

مدينة خـارج الـزمن: رواية من الخيـال العلمي/ طـالب عمـــران- دمشـــق: اتحـــاد الكتــــاب العــــرب، 1999-
97ص؛ 24سم .

1- 813.088ع م ر م   2- 813.009561ع م ر م

3- العنوان   4 - عمران

ع -1233/7/1999   مكتبة الأسد

❐

هذا الكتاب

رواية في الخيـــال تتكئ على الحكايا المبثوثة في تراثنا الشـعبي العـربي، حـول المـدن المسـحورة الضائعة في تيه الصـحراء. والرواية هنا تتوسل الحـوار -كحامل للمـادة الحكائيـة- بجمل قصـيرة ورشـيقة، متناوبة مـــابين ضـــميري الغـــائب والمخـــاطب، مع وصف بـــالغ الدقة والعناية بالتفاصـــيل، بغية إقنـــاع القارئ بمصداقية الأخيولة.

حيث تنشط المخيلة في ابتـداع فضـاء غـير واقعي، وتـؤنس الكائنـات المحيطـة، كمـاتتوفر في المسرود الـروائي عنصر التشـويق الـــــــذي يجعل الرواية اليفة إلى القـــارئ. حيث اللغة المبســـطة القريبة من الدارجة لتوفـــــــــير السهولة والسلاسة، اللتين يرتاح لهما اليافعين.

❑❑